لا يزال

معالي التميمي

لا يزال

معالي

التميمي

الإهداء

إلى كل زهرة نرجسية

إلى كل نجمة صيفية

إلى أمي الحبيبة

إلى علا صديقتي الغالية

بقلم : معالي

مقدمة

هنالك أمنيات لا تتحققَ وأخرى تتحقق لكن المشكلة تكمن في البشر أنفسهم وليس الأمنيات و الأحلام

دائما ما كنا كذلك نحن البشر نتمنى ونتمنى الكثر من الأشياء لكن حالما تحدث نعود لنأمل لو أنها لم تحدث لو أننا لم نردها .

ربما هي الحياة هكذا ، دائما ما تنادينا هنالك من يسمع ندائها وآخر لا وهنالك من يسمع بشكل خاطئ ويضل الطريق ،،

ليذهب بعيداً بحيث يصعب عليه البقاء

و يصعب عليه الرجوع يكون كمن يقف على سكين جارح لا يقدر على العودة أو البقاء أو حتى المضي قدماً...

لا مجال للنسيان ،، فقد كانت كطفل صغير كلما ترى عصفوراً يغني فرحاً يرفرف بجناحية في الفضاء تحسده تتمنى لو أنها كانت هي الطائر لتطير وتجول العالم وحدها حرتاً ، لأنها لا تملك هنا غير الألم والمعاناة و رغم ذلك فهي لا تجرأ على المغادرة حتى. فهي حبيسة المكان وروحها الحرة حبيسة الجسد المتألم .

مع أنه كان يوماً صيفياً حاراً من شهر تموز إلا أنها بدأت العمل مع بزوغ الفجر فهي تعمل منذ الشروق إلى الغروب هكذا هي أعمال المزارع لا تنتهي ..

لم يكن أباها يحبها كان يعاملها بقساوة كان يضربها لأبسط الأسباب أما زوجة أبيها كانت رحومة تعاملها بعدل ، وأخويها كان الأكبر مشغولاً بشكل دائم حتى حين يعود للمنزل يكون متعباً فيخلد للنوم ومع صحوته يعود للعمل، وكان الأصغر فكان يعاملها بجفاء و خبث فقد كان بدينا أغلب الأحيان تفوح منه رائحة نتنة لأنه يكون سكراناً ،،

لقد سكنت عائلة جديدة المزرعة المجاورة لهم لذا فكر أبيها جلال بدعوتهم

"ربما نستفيد منهم بشيء" قائلاً هكذا هي اغلب علاقاته تقوم على المصلحة ، بسبب ذلك سيزداد العمل على الفتاة المسكينة مهرة هناك العديد من الأشياء التي عليها فعلها قبل حلول المساء

بعد مضي النهار بسرعة حان وقت استقبال الضيوف كان كل شيء جاهز

سمعت طرقات خفيفة على الباب "قد وصلوا مهرة افتحي الباب" قال أبيها

فتحت لهم حيتهم و أدخلتهم كانوا زوجين متوسطين العمر وأبنتيهما كلتاهما أكبر من مهرة "يبدون عائلة سعيدة ومترابطة على عكسنا لأننا لا نبدو عائلة حتى " قالت مهرة لنفسها بأسى ، القوا التحية على بعض و بدئوا يتحادثون عن المدن والأرياف وغيرها من الأشياء بينما كانت مهرة تعد مائدة الطعام "تفضلوا الطعام جاهز " قالت عندما انتهت من تجهيزها .

نهضوا جميعاً متوجهين إلى المائدة عدا ابنتهم الصغرى التي كان عمرها قريبا من عمر مهرة اقتربت منها وقالت

"مرحبا أسمي رشا "ومدت يدها لتصافحها

"أهلا وسهلا بكِ و أنا مهرة "ردت وهي تصافحها

"كما تعرفين انتقلنا حديثاً ولا أعرف أحداً بعد هل تصبحين صديقتي "

توترت مهرة وفرحت في الوقت ذاته فلم يسبق أن كان لها صديقه كانت وحيدة دائماً "أجل بكل سرور "

"حسنا ما بها عينكِ متورمه هكذا .."

"آه وقعت البارحة،،،" لم ترد إن تخبرها أن أباها قام بضربها

"ضعي بعض الثلج عليها و انتبهي في المرة القادمة "

انتهت الأمسية بسلام كل أوى لفراشة إلا مهرة بسبب الفوضى وكومة الأطباق المتسخة ،،

بعد أن صارت لمهرة صديقة أصبحت تنهي أعمالها بشكل أسرع حتى يتسنى لها رؤية صديقتها التي بدئت تعلمها القراءة والكتابة كانت ذكية وسريعة الحفظ بعد شهر أتقنت القراءة والكتابة

"أنت فعلا فتاة ذكية لقد تعلمتي بسرعة"

" لا تقولي كذلك لو لم تعلميني لما تعلمت"

"أريد أن اهديكِ شيئاً بهذه المناسبة السعيدة "

"لا يوجد داعي للهدية لا تتعبي نفسك "

لم ترد فقط ابتسمت لها وأخرجت من حقيبتها هدية مغلفة واعطتها إياها

"هيا افتحيها "

فتحت الشريط فظهر غلاف الكتاب "قواعد العشق الأربعون " فرحت كثيرا بهذه الهدية القيمة بالنسبة لها ، صارت تقرأ منه بعض الصفحات كل ليله حتى قاربت على الانتهاء منه أعجبتها قاعدة مهمة

(لا تهتمي إلى أين سيقودك الطريق ، بل ركزي على الخطوة الأولى فهي أصعب خطوة يجب أن تتحملي مسؤوليتها و ما أن تتخذي تلك الخطوة دعي كل شيء يجري بشكل طبيعي و سيأتي ما تبقى من تلقاء نفسة لا تسيري مع التيار بل كوني أنتِ التيار) .

ظلت تفكر بتلك القاعدة طويلاً لكنها بنفس الوقت لا تجرؤ على الفعل بها فبعد تحملت كل شيء خوفا من إن تظل وحدها في الطرقات لم تفكر أبدا ً من قبل أن تهجر المنزل إن تترك كل شيء وترحل فهي لا إن كان ما ستجده جيد أم أسوأ بكثير .

فكرت دوما إنها لا تستحق حياة كهذه تستحق عيشة أفضل فبعد قراءه ذلك الكتاب تغير فيها الكثير من الأمور أصبحت تعرف أشياء لم يخطر لها إنها ستعرفها صار لديها وعي أكبر صار لديها أحلام وأماني ككل البشر

أستمر الأمور على هذا النحو حتى مجيء ذلك اليوم اللعين حيث اختلف كل شيء كان يوم معتدل من شهر أيلول استيقظت باكراً مع وقوع أولى خيوط الشمس الذهبية ذهبت إلى أعمالها المعتادة عندما بدأت بغسل الأطباق بعد الفطور سرحت في أحلامها كما كانت تفعل في الآونة الأخيرة حتى عادت إلى الواقع على صوت شيء يتحطم و أحدهم يصرخ .

"ماذا كسرتِ أيتها البلهاء " كان صوت أخيها زياد قال بغضب وهو يتقدم نحوها و صفعها صفعة قوية وقعت أرضاً بعدها ، دخلت امها إلى المطبخ " زياد .. توقف دعها وشأنها هيا أخرج من هنا حالاً"

"حسناً سأخرج سأرحل ،، ساعدتك امك هذه المرة حمقاء " قال ثم غادر المكان ثم قالت لها أمها :

"هل انت بخير عزيزتي "

"أجل بخير "

"انتبهي أكثر في المرة القادمة "

"حسناً .. "

أكملت أعمالها المتبقة كالمعتاد انتهت عند الخامسة عصراً و ذهبت لرؤية صديقتها رشا التي صارت لها مثل عالم جميل ،

كانت رشا قد احضرت معها قريبها الذي أتى لزيارتهم قبل يومين كان شاباً مهندماً ذو بشرة بيضاء وشعر أشقر حسن الشكل و طويل القامة عندما رأته مهرة مع رشا ترددت في الذهاب فكرت في العودة غير إنهم رأوها فكان من العيب أن لا تذهب ألقت التحية عليهم وعرفتهم رشا على بعض فقد كان آدم متحدث جيد لا أحد يستطيع الملل من الحديث معه حتى لو تحدث لساعات ذهبت رشا مسرعة بعد أن تعذرت منهم بعذر شكلي فهمت مهرة من إيحاءات رشا إنها كانت تحاول جمعها مع آدم لكنها هي لم تكن تريد ذلك غير ذلك خجلت وهي بمفردها معه .

" أنا.. لدي عمل يجب أن أذهب،، وداعا " قالت و قبل أن تهم بالانصراف استدارت و إذا بها تجد أبيها يقف خلفها مليئاً بالغضب وكأن هناك حمم بركانية تكاد تنفجر منه و زياد كان معه فهو الذي رآها ونادى والده

صفعها صفعة قوية اسقطتها أرضا

"ماذا تفعل يا سيد يبدو إنك أسأت الفهم" ما أن تكلم وإذا بلكمة من والدها على وجهه تسقطه أرضا هو الآخر فبرغم إنه كان رجلاً في الستينات إلا أنه يتمتع بصحة جيدة وقوى بدنية كبيرة ،،

"زياد أحضر أختك واتبعني.." قال متجها إلى البيت

كانت تلك الليلة أسوأ ليلة بحياتها بل كانت جحيم فقد ازرقت وتورمت من شدة الضرب الذي تعرضت له حتى أنها لم تقدر على الحركة كادت أن تموت كانت مستلقية أرضا غير قادرة حتى على الصعود إلى سريرها

تذكرت والدتها مثل حلم باهت بالكاد تراه .

في تلك الليلة تجاوزت مخاوفها تجاوزت نفسها وبعدت كثيراً لم يعد هنالك شيء يمنعها من الطيران عالياً شعرت وأن روحها تحررت

وفي ذلك السواد نفسه و المطر الأسود في عينيها قررت أكثر قرار لم تجرأ حتى بالتفكير به قبلاً وهو الرحيل

فكرت أنها تستحق أن تعيش كباقي البشر لا شيء يجبرها على البقاء وتحمل كل هذا الألم والمعاناة ، وهي في تلك الحالة المزرية لم تكن قادرة على فتح عينيها ولا أي جزء منها

"أريد أن أعيش .." هذه الجملة الوحيدة التي قالتها وكررتها في نفسها

فهي لا تريد المزيد الضرب لا تريد المزيد من الكره و الاحتقار لا تريد المزيد من كل ما تعيشه تود الحرية فقط لأن الآن الحرية هي هدفها وحلما

برغم إنها حق للجميع منذ الولادة وحتى الممات .

بقت طوال الليل تفكر وتبحث عن بخطة مناسبة للهروب من هذا الجحيم

الأسود لم تكن هي مجرد خطة للهروب بل كانت خطة للحرية .

فكرت جيداً ووجدت خطة برأيها رائعة ومناسبة جداً و كانت متأكدة في قرارة نفسها من إنها تجرأ على فعلها لكن داهمها بعض التردد والخوف مباغتة لم تعرف السبب أو ربما هي كانت تتجاهل الاسباب والمسببات لأنها لا تريد سوى شيء واحد بعد الآن وهو المغادرة . لكن كان عليها التروي و الصبر لتنفيذ هذه الخطة انتظار أسبوع حتى السبت المقبل لان في كل سبت يذهب والديها لبيع منتوجات المزرعة من جبن حليب وبيض وغيرها من الاشياء ، فتبقى مع زياد وحدهما في المزرعة وهذا هو المطلوب .

حاولت الأيام الست لملمة نفسها واستعادة قوتها

"لم يبقى إلا القليل تحملي آخر أيام لك هنا " قالت لنفسها

مرت ليلة أخرى مع نفس الألم والضيق إلا أنه كان أخف وطأه من البارحة

مع حلول الفجر كان الظلام لا زال مخيماً في الإرجاء إلا أن الديك بدأ بالصياح كعادته في نفس الوقت وكأنه يحمل ساعة منبه في رأسه دائما ما يكون مستيقظاً أول الكائنات .

أشرقت الشمس ضياءً و أستيقظ الجميع عند الساعة ٧:٣٠ كان هناك طرقاً كثيفاً على الباب انزعجوا جميعا عدا مهرة التي لم تعد تنزعج من اي حدث أثناء تفكيرها بالحرية التي أصبحت قريبة منها . فتحت الباب الست سمر وهي تقول : " تمهل أنني أقوم بفتحه "

" خالتي أريد التحدث مع عمي ارجوك ناده لي "

" لا يوجد شيء لفعلة أنه غاضب جداً أذهبي قبل أن يراك "

خرج من غرفته السيد جلال وهو ثائر كلياً صاح بنبرة قاسية من وصل نحوهن " ماذا تريدين يا فتاة ؟ "

"ارجوك يا عم اسمعني الأمر ليس كما تعتقد لا ذنب لمهرة قد قدمت لرؤيتي .." قاطعها وصاح بنبرة اخافتها

"فهمت ما يجب أن أفهم اذهبي و إياكِ إن تعودي .."

ما أن إنها حديثة وأغلق الباب بقوة بوجهها لم يكن بوسعها أن تفعل أي شيء مع هذا الرجل القاسي المتسلط نظرت إلية زوجته نظرة عتاب وحزن عميق لم تكن تستطيع أن تفعل أي شيء هي الأخرى لأنها تخافه

"لماذا تنظرين إلي هكذا " صاح بها

" إلا تعتقد بأنك أصبحت قاسٍ جداً .."

" انتِ لستِ أمها لذا لا تتدخلي بأي شيء يخصها .."

كانت كلماته المسامير تغرس فيها جرحت كثيراً لقوله هذا لها لأنها احبتها كما لو كانت ابنتها حقاً فهي من ربتها منذ نعومة أظفارها لم تكن لها زوجه اب قط ،،

عند الظهيرة كانت الست سمر حيرى و متوترة بل وخائفة مما يفكر فيه جلال كانت تقف في المطبخ وتراقبه فقد كان يقف في الحديقة منذ أكثر من ساعة وهو يتكلم بالهاتف .

فجأة اقفل الخط توجه إلى الباب الخلفي للمنزل عبر المطبخ وجد زوجته تنظر له بارتباك و هناك في عينيها الكثير من علامات الاستفهام

لكنها لم تتكلم ظلت صامتة أشاح ببصرة عنها و توجه إلى الغرفة الصغيرة

أسفل السلم حيث مهرة مسطحة مع خيباتها احزانها و آهاتها، فتح الباب

نظر إليها رأته لكنها لم تحرك ساكناً أخذت تنظر له بعينين مرهقتين حمراء إحداهما بالكاد تفتح .

"ستعقد خطبتك الأحد المقبل والزفاف سيكون بعد أسبوع .." قالها بحدة ثم خرج وأغلق الباب خلفة لم ينتظر لسماع ما ستقول لأنه لم يكن مهما بالنسبة له

صدمت لكن الصدمة كانت خفيفة لأنها تعرف أن أباها يستطيع ان يفعل اي شيء بكت جرت دموعها كالماء في السواقي لم تكن قادرة على إيقافها رغم أن الدموع المالحة كانت تحرق وتهيج الم عينيها

" أنا لا أستحق هذا ابداً .. بعد الآن.. سأحصل على ما أستحق وحسب

لابد من ذهابي وإلا إن تم هذا الزفاف سأنتهي بل سأموت الف مرة كل يوم

كم أكرهك يا من تسمى أبي و أكره جميع الرجال ..."

قالت ذلك بصوت رقيق مبحوح في أسى خرجت الكلمات من أعماقها

فقد وصلت لمرحلة من التحطم لم يبقى إلا شعرة إما تنقطع و تنتهي كليا تحافظ عليها وترمم ما تحطم هذان هما الخياران المتاحان لها وحسب .

استجمعت قواها و أجزاء احلامها المبعثرة على سريرها المتبلل بالدموع المتساقطة كاللؤلؤ الأسود ،

صارت الساعات لا تمر بسرعة أصبحت وكأن كل ساعة بألف عام

ما هذا التريث لما تباطأ الزمن هكذا على غير عادة

كانت مهرة جالسة تعد الثواني حتى تمر هذه الأيام المتبقية لم يكن هناك من يساعدها ولم ترد المساعدة من أحد ،

مر ثلاثة أيام على ذلك الحدث استعادت مهرة شيء من صحتها لكن لازال أثر الكدمات كانت ممنوعة من الخروج من غرفتها ، سمعت طرقات خفيفة على النافذة نهضت وفتحت تلك النافذة الصغيرة كانت رشا الطارقة

" مهرة كيف انتِ .. لقد مت من القلق عليكِ "

"لا تقلقي أنني بخير كما ترين "

" صدقيني لم أكن أعلم أن هذا سيحدث.. وإلا لم أكن لأحضره معي "

" لا ذنب لك عزيزتي المسألة انتهت لنغلق الموضوع "

"انت صديقة عزيزة عليّ ولا أريد أن اخسرك "

" ومن اخبرك انك خسرتني" أمسكت بيدها عبر النافذة وأكملت

" أنت اول و اعز صديقة لي "

" هل هناك شيء أستطيع فعلة من أجلك فقط أخبريني "

" كلا كل شيء على ما يرام الآن كفي عن القلق بشأني "

" ربما هناك أحد قادم سأذهب.."

" رشا ... لا تنسيني "

" ما هذا الكلام لما سأنساكِ ، إلى القاء "

بعد مضي الأيام الأخيرة بفتور شديد وصلت الليلة الاخيرة لها بتلك المزرعة بقدر ما كانت فرحة كانت مرتبكة و متوترة كثيراً . حاولت النوم مراراً لكنها لم تستطع ظلت تتقلب في فراشها يمينا و شمالاً كما سمكة تتقلب خارج المياه ثم أخذها النوم بغتة دون أن تشعر لتستيقظ بعد ساعة متعرقه وخائفة كانت قد رأت كابوسا سيئاً .

نظرت إلى الساعة كانت تشير إلى ١:٠٠ بعد منتصف الليل نهضت احضرت حقيبة صغيرة وضعت بها بعض الملابس وجواز سفرها وكتابها الذي يذكرها بصديقتها الوحيدة التي علمتها الكثير إنها ممتنه لها .

بدأ الليل يسحب أجنحة السوداء ويرحل رويدا رويدا و بدأ الديك بالصياح يعلن بداية الصباح جديد ، كان صباحاً خريفياً في ١٣/ أيلول كانت العصافير تزقزق و الفراشات ترفرف مع الرياح

والأوراق أخذت تتساقط بعد أن تغير لونها إلى البرتقالي لتترك الأشجار

عارية فتبدو أجمل من ذي قبل

أستيقظ الجميع وتناولوا فطورهم إلا الست سمر التي احضرت الفطور

لمهرة قبل أن تفطر هي وضعته على المنضدة مقابل السرير وجلست بقربها "أسمعي عزيزتي ربما لم تحبيني كما أمك الحقيقية لكني أحببتك كأبنتي تعرفين أحيانا لا أدافع عنكِ و ذلك لأنني فعلاً لا استطيع ليس بأنني لا أريد والحقيقة أنا أتألم مثلكِ وربما أكثر.."

قالت ذلك بعواطف جياشة لم تعرف مهرة ماذا ترد صمتت قليلاً لتأثرها

"وأنا أحبك يا أمي .. انتِ امي الحقيقية ، أعرف انكِ لا تستطيعين رغم ذلك تفعلين ما بوسعك و أنا اقدر ذلك "

"ما أريد قوله الآن لكِ ليس بالضرورة أن يكون جميع الرجال متشابهون..

الشاب ألذي سيأتي لخطبتك غداً سمعت أنه محترم وخلوق ومثقف لم أعرف ماذا يعمل لكنني سمعت أنه شاعر "

ترنحت مهرة قبل أن تجيب

" ولو كان غير ذلك من يعلم ، بكل الأحوال لم يهتم أحد لرأيي"

"أعلم حبيبتي لكن ما بوسعنا أن نفعل غير ذلك.. نحن النساء مضطرات لتعايش مع الحياة مهما كانت ،،"

"إذا لا فائدة من الكلام الآن " سيطر السكون لحظات

" سامحيني .. سامحيني لأنني لا أملك قوة لمساعدتك "

" لا تقولي ذلك امي.." أمسكت بيدها وأكملت "انت سامحيني"

تعانقتا عناقاً طويلا حاراً مليئاً بالكثير من الأحاسيس و الحب والدموع

" آمل أن تكون حياتك القادمة سعيدة "

"آمل ذلك "

شعرت مهرة بالأسى لفراق أمها شعرت بشي يعصرها من الداخل كانت لعينيها نظرات عميقة مليئة بالكلمات المبعثرة على أغصان الحياة ودّت لو إنها لم تضطر الرحيل.

تقدمت لتناول الطعام فلم تقدر مع ذلك الطوفان الذي كان يضرب شطآن قلبها المتناثر مع الرياح . لكنها أجبرت نفسها على تناول القليل فربما لا

يتسنى لها خلال النهار ثم استعدت ما يذهب والديها حتى تبدأ جلست قرب النافذة تتأمل العشب الأشجار العصافير السماء والشمس لربما لن تراها مجدداً فهذه الاشياء لا يوجد مثيل لها في أي مكان آخر .

عند الساعة ١٠:٠٠ ذهبا "حان وقت التنفيذ " قالت لنفسها وهمت مسرعة إلى غرفة الجلوس الكبيرة حيث يجلس زياد عادتاً اختلست النظر له كان قد شرب أكثر من نصف قنينة الكحول بدا وكأنه يفقد السيطرة على نفسة

" الخطوة الأولى فعلاً منجزة .." قالت لنفسها ثم أسرعت وبعثرت جميع أغراض المنزل وكأن حدث زلزال كبير في المكان .

حينما وصلت لخزانه والديها ترددت قبل أن تفتحها وترددت أكثر حين أخذت المال ضلت في صراع بين العقل والقلب وبين الصح والخطأ

كانت خائفة من العودة وخائفة أكثر من المضي قدماً .

أغمضت عينيها لثواني أخذت نفساً عميقاً وأكملت وهي تكرر

" لن أتراجع أستطيع فعلها .."

ذهبت إلى المطبخ أخذت سكيناً جرحت يدها وضعت بعض قطرات الدم على الأرض وبعضها على الحائط ليظهر وكان هناك من يجرها عنوة

ثم عادت إلى زياد الذي كان قد انطفأ ولم يعد يشعر بما حوله وضعت السكين في يده وضعت بعض الدم على قميصه ثم بعض الطين على الأرض وحذائه والبسته اياه .

هكذا كان المشهد منتهياً زياد هو من بعثر كل شيء وسرق من مال ابية وقتل أخته وأخفى الجثة في مكان مجهول كل من يدخل سيستنتج هكذا حملت حقيبتها الصغيرة وضعت وشاحاً صغيراً على وجهها وغادرت

بلا أمل للعودة ....

لم ترد إن تفعل ذلك حقاً ولكنها كانت مجبوره ؛ لأنها إن ذهبت بهدوء دون فعل اي شيء ما كان أباها ليتركها وشئنها بل كان بحث عنها في كل الإرجاء ،،

ذهبت وهي تفكر عندما يعود والديها أو بالأخص والدها هل سيحزن ولو قليلاً ربما لا لأنه يحب ابنه أكثر بالتأكيد لن يفرط به سوف يحميه ويخفي كل شيء وكأن حدثاً لم يكن .

وفكرت أيضا إن أخيها عندما يصحى لو كان لديه القليل من الوجدان فإنه سيضل يشعر بالحزن ولن يسامح نفسه ،،

بعد سرحانها بالتفكير والاعتقاد فجأة وجدت نفسها وحيدة بطريق طويل وسط المارة داهمها شعور مرعب ومفاجأ شعرت كما حورية قضت حينها في المحيطات و فجأة خرجت لليابسة كان كل شيء جديداً وغريباً

ذهبت سيراً على الأقدام إلى موقف الحافلات ركبت متجهه إلى مدينة أخرى سرعان ما إن وصلت و نزلت من الحافلة حتى شعرت بما هو أكثر من الخوف شيء مزعج وغريب كانت تمشي ببطء خيل لها ان اعين الناس كالسهام تطاردها والشوارع تكاد تبلعها بدأت تتعرق قليلاً و تشعر بضيق بالنفس " تمالكي نفسك لا يوجد شيء مخيف .. " قالت مواسيه نفسها اغمضت عينيها لوهلة حاولت مسح كل الأشياء من رأسها عبثا أخذت نفسا عميقاً أخرجت قارورة الماء من حقيبتها شربت القليل ثم غسلت وجهها احست بحال أفضل بقليل .

ثم أخذت تبحث عن مكتب الحجوزات لتحجز رحلتها الأولى الى بلد آخر غريب تماماً فكرت اين يمكن أن تذهب تذكرت صديقتها رشا التي حكت لها الكثير عن سفراتها الى تركيا فقررت ان هي الأخرى

حجزت على أقرب رحلة والتي كانت غداً صباحاً عند ١٠:٤٥ خرجت إلى الطرقات تمشت قليلاً محاولة تقليل التوتر والقلق جلست في حديقة عامة شاهدت الأطفال وهم يلعبون ويمرحون شعرت بشيء من السلام

ظلت تنظر لهم وعلى وجهها ابتسامة صغيرة حتى بدأت الشمس تختفي وراء الأفق نهضت وعادت لشارع رأت مسجداً كبيراً في نهايته كان مزخرفاً بشكل رائع ذهبت مباشرة إلى المسجد توضأت ودخلت كان الناس يتوافدون استعداداً لصلاة المغرب جلست في قسم النساء حتى انطلاق صوت الأذان من كل الجهات كان صوتا مريحا القلب والنفس

عندما انتهوا من الصلاة سلموا على بعض منهم ذهب ومنهم من ظل يقرأ القرآن أو يدعي جلست هي مستنده إلى الجدار ترغب الجميع بعد مرور ساعات غطت في نوم عميق كالأطفال تماماً دون أن تفكر أو تحلم بشيء

لم تشعر بمرور الساعات حتى استفاقت على صوت آذان الفجر وأصوات الرجال الذين قدموا لصلاة نظرت حولها هناك أحد غيرها لأن النساء لا يأتين في الفجر. تثائبت احست بثقل والكسل بعد انتهاء صلاة الفجر

قرأت بعض الصفحات من القرآن الكريم ثم انتظرت حتى ٦:٠٠ لتخرج أخذت سيارة أجرة وانطلقت نحو المطار وصلت بعد نصف ساعة لكن مازال هنالك الكثير من الوقت حتى تقلع رحلتها

كانت تشعر بالعطش أخرجت قارورتها كان بها القليل شربت لكنها لم ترتوي ثم شعرت بجوع شديد مباغت

ذهبت إلى أحدى المقاهي طلبت شطيرة كبيرة بالجبن والخضار وبعد أن انتهت شعرت برغبة ملحة لتناول حلوى فطلبت طبق حلوى صغير وفنجان قهوة سادة كانت تحبها مره لأن القهوة تبقى الشيء الوحيد الذي رغم مرارته حلو المذاق .

بعد إنتظار طويل اخيراً أنه النداء لرحلتها ارتبكت كادت دقات قلبها تكون مسموعة للمارة عاود لها الشعور بالألم في احشائها ركبت الطائرة جلس جميع الركاب وانطلقت رغم كل الأحاسيس المختلطة التي شعرت بها إلا أنها احست نفسها حرة للمرة الأولى احست بشعور جميل لم تعرفة من قبل

وكأنها أصبحت عصفوراً بريأً وحلقت بين الغيوم وكأن حلمها الطفولي بأن يكون لها أجنحة تطير بها بعيداً تحقق

" تلك التسع عشر عاما لن تحسب من حياتي انا اليوم ولدت .. يا لفرحتي ليتني فعلتها منذ زمن ،، " قالت في نفسها دون أن تنتبه إنها تكلمت بصوت مسموع من الرجل المسن الذي يجلس بجانبها

" استمتعي لأن المرة الأولى تحدث لمرة واحدة فقط و تكون مميزة جدا "

نظرت له بحيرة لكنها لم تجبه ادارت بوجهها نحو النافذة ظلت تنظر إلى السماء والغيوم البيضاء سرحت مع الريح لم تنتبه أن الوقت مر سمعت

صوت مفاجئ يقول " الطائرة ستهبط يرجى من المسافرين الجلوس في مقاعدهم وربط أحزمة الأمان "

عند نزولها من الطائرة شعرت بالقوة وكأنها تغلبت على كل ما مرت به

بعد انهائها الإجراءات خرجت من المطار لم تكن تعرف بعد اين ستذهب ذهبت في إحدى الطرقات مشت وهي منبهرة بكل ما تشاهده كل الأشياء كانت جديدة عليها وصلت للبحر كانت أول مرة ترى فيها البحر الازرق

دارت ودارت في الطرقات حتى انهكت من التعب وبدأ الليل يفرد أجنحته لم تعرف أن تتفاهم مع الناس وأخيراً بشكل ما استطاعت أن تحجز غرفة صغيرة في فندق كانت الغرفة تحتوي على سرير و منضدة بجانب النافذة وخزانة صغيرة ايضاً اغفلت الباب جيداً القت حقيقتها ارضاً ألقت بجسدها المتعب إلى السرير شعرت بألم في قدميها ما أن ضعت رأسها على الوسادة حتى دخلت بعالم آخر رأت نفسها وحيدة في الظلام بمكان مهجور مليئاً بخيوط العناكب و الكثير من الحشرات شعرت باندفاعات

غريبة مع ضيق نفس وآلم في أحشائها تسارعت ضربات قلبها إلى حد كبير احست بالخوف بل كانت مذعورة صرخت مستنجدة لم يكن هنالك أحد ركضت وركضت دون جدوى وكأنها تركض في متاهة سوداء و فجأة انزلقت وقعت في حفرة عميقة أكثر سواداً أرادت أن تصرخ فلم تقدر وكأن هناك من سرق صوتها بعد إن وقعت ارضاً فتحت عينيها وإذا بها

ترى كائناً قبيحاً ومرعباً إلى حد كبير . أستيقظت فزعة وهي تصرخ بالكاد تستطيع التنفس كانت ملابسها مبللة بالعرق رغم برودة الغرفة

جلست كانت الغرفة منارة بشكل خفيف مسحت وجهها بالمنديل سيطر عليها الخوف كان كل جسدها ينتفض حاولت أن تهدأ من روعها دون جدوى أسدلت قدميها أرضاً تقدمت نحو النافذة فتحتها أخذت تتنفس بعمق الهواء البارد كانت الطرقات خالية تأملت اضواء الشوارع و القمر المرتسم وسط السماء مما هدأ من نفسها قليلاً جلست قرب النافذة وظلت حتى الصباح لم تستطع ان تعاود النوم ، حين بدأ الصبح ينشر النور غيرت ملابسها جمعت اغراضها وانصرفت قررت في ذلك اليوم أن تبحث عن عمل اياً كان لا يهم المهم ان تعمل رغم انها لا تعرف اللغة التركية لكنها اصرت ان تجد عملاً بحثت في العديد من الشوارع و

المحلات عبثاً حين قارب النهار على الانتهاء كانت تشعر بالإعياء وآلم لا يوصف بقدميها و ضهرها قررت أن تعود للفندق نفسه لكن بغرفة أخرى

قضت الليلة الأخرى بوقع أخف من الأولى وعاودت البحث في الصباح التالي ولم تجد حتى شعرت بشيء من الإحباط و اليأس فكرت أنها ستضل تحوم بالشوارع حتى ينتهي مالها وتموت جوعاً دون أن تجد عملاً بدأت الأوهام تتلاطم في رأسها كتلاطم الأمواج تشوش فكرها لم تعد تعرف شيئاً عندما سمعت صوت إمرأة تتحدث باللغة العربية لأول مرة شعرت بطمأنينة مباغتة استدارت نحو صاحبة الصوت كانت إمرأة شابة في العشرينات من عمرها متوسطة الطول لها ابتسامة رائعة كانت ترتدي ثوباً طويلاً بالون الازرق مع حزام أبيض كان شعرها طويلا ناعماً أسود كالليل . تقدمت مهرة نحوها لم تعرف كيف تبدأ المحادثة معها

" آه .. أنت اول شخص اسمعه يتحدث بالعربية منذ أن جئت هنا.. سعيدة برؤيتك " قالت بتوتر نظرت لها المرأة بحيرة وشك بعد أن تفحصتها جيدا بالنظر رأت بعيني مهرة شيء من البراءة ، الطفولة صمتت للحظات

" أهلا وسهلا بك .. هل ضللت الطريق "

" كلا جئت هنا هرباً من أحزاني .."

"وهل تعرفين أحد هنا "

" كلا لا أعرف احداً ولا أعرف اللغة حتى .. أنني أبحث عن عمل منذ يومين ،، هل اجد عملاً لي عندك؟ "

" ماذا تريدين أن تعملي .. ماذا تعرفين؟ "

" يمكنني عمل اي شيء تريديه "

" حسنا كنت أبحث عن مساعدة .. هل تعرفين بأمور الخياطة؟ "

"اجل أعرف " أجابت باندفاع

" إذا اهلاً بكِ بالعمل معي اسمي زهرة " ومدت يدها لتصافحها

" اسمي مهرة " تصافحتا وراحتا تمشيان إلى نهاية الشارع استدارت نحو اليمين ودخلت محلها نظرت مهرة بإعجاب كان محلاً واسعاً مرتب بشكل أنيق جداً "كم هو جميل " قالت مهرة

ابتسمت لها زهرة بلطف وقالت " هنا ستعملين.."

" عفواً انستي .. ليس لدي مكان انام فيه هل بإمكاني البقاء هنا ليلاً؟ "

" في الواقع .. يوجد غرفة صغيرة هنا أشارت إلى بابها في الركن واكملت أنه مبعثر بعض الشيء "

" لا مشكلة انستي يمكن أن تأخذني نصف اجرتي ايجاراً للغرفة "

" كلا يمكن تبقي فيها مجاناً لكن احرصي على قلق الأبواب جيداً عندما تنامين .. وشيء آخر لا تناديني انستي نادني زهرة اتفقنا "

" اتفقنا.. شكراً جزيلاً "

"حان وقت الإغلاق اراكِ غدا صباحا واشرح لك ماذا ستفعلين بالضبط "

غادرت زهرة بعد أن أعطت نسخ المفاتيح لها دخلت مهرة إلى تلك الغرفة

كانت مليئة بالأشياء والغبار وخيوط العناكب ذكرتها بحلمها المرعب إلا أنها حاولت ان تنسى ولا تدعه بشوش عقلها نظفت الغرفة ورتبتها بشكل جميل ووضعت اشيائها كانت الساعة ٨:٢٠ عندما انتهت شعرت بالجوع يفتك أحشائها خرجت مسرعة للمحال المجاورة احضرت شطيرة و لبن رائب وعلبتا بسكويت اغفلت الأبواب جيدا واطفأت الإنارة القوية اكتفت بالخفيفة تناولت طعامها واستلقت على السرير كانت ليلة موحشة بالنسبة لها لم تستطع ان تنام رغم تعبها أصابها الأرق حتى الصباح .

جاءت زهرة وجدت مهرة تنتظرها لبدأ العمل لم ترد إن تتخاذل منذ اليوم الأول شرحت لها كل ما يجب أن تفعله كانتا متفاهمتين إلى حد ما و

فرحات برفقة بعضهن البعض . وبدأت تعلم مهرة اللغة التركية أثناء العمل

كانت سريعة البديهة وتتعلم بسرعه لا سيما إنها تسمع و تتعامل مع الزبائن ما سرع في تعلمها خلال شهرين كانت قد أتقنت اللغة جيداً .

مع مرور الأيام اصبحتا صديقتين مقربتان من بعضهما لأن كل منهما رأت نفسها بالأخرى لم ترد مهرة أن تخبرها بما حصل معها اكتفت بأخبارها جزء فقط ، إن والدها اجبرها على الزواج بينما هي لم تكن تريد فهربت إلى هنا صديقتها لكنها ظلت تشك في داخلها أنه هنالك أشياء

أخرى رغم ذلك تعاطفت معها لأنها هي الأخرى جاءت هرباً قبل خمس سنوات من واقعها المرير ، بعد مرور أكثر من ثلاثة شهور كانتا قد اصبحتا كأختين ليس فقط كرئيسه عمل ومساعدتها .

تاريخ اليوم ٣١ /١٢/ ٢٠١٠ أنه عيد الميلاد لم يكن لزهرة اي اصدقاء غير مهرة لذا قامت بدعوتها إلى مطعم جميل ذو إطلالة بحرية وكأن هناك عازفين كانت الأجواء رائعة كلتاهما كانتا مرتاحتين معاً تشعران بالرضا والطمأنينة نوعا ما ، طلبتا العشاء كباب سلطة وبعض المقبلات مع كولا

بدأتا تتبادلان أطراف الحديث أثناء الأكل ثم تعمقتا بالكلام أكثر

"أود أن أسألك سؤالاً إذا سمحتي ،، " قالت مهرة بتردد

" أجل تفضلي "

" ما سبب مجيئك إلى هنا .. اعني .. لما تعيشين وحيدة في الغربة بينما لديك عائلة ، "

ظلت زهرة تنظر لطبقها بصمت أحست مهرة أنه لم يكن عليها السؤال

" لا بأس .. اعتبري انني لم أسأل "

"إذا كنت تريدين الاستماع إلى قصتي أسمعي اذاً ..

كنت أعيش حياة هادئة لم تكن مفعمة بالحيوية ولم تكن رديئة كانت حياة عادية جداً لفتاة عادية أذهب للمدرسة أعمل أعمال البيت بعد زواج أختي أصبحت مسؤولية المنزل بكاملة على كاهلي بسبب مرض أمي و اخوتي الآخرون صغاراً واخي الكبير كان يعيش مع زوجته وامها نادراً جداً ما يأتي لزيارتنا .. عندما كنت في السنة الأخيرة بالمدرسة الثانوية كنت أذهب سيرا على الأقدام كان هنالك سوق صغير كنت اضطر للعبور من خلاله لأن الطريق الآخر اطول بكثير، كان لابي أصدقاء كثر لذا منزلنا كان يحتوي على ضيوف بشكل دائم وكأنه منزل ضيافة . كنت أذهب كل صباح إلى المدرسة بلا أحزان بلا هموم ربما كنت سعيدة إلى أن جاء شاب لخطبتي كان من المنطقة نفسها إلا أنني لم أره من قبل وافق والدي فوافقت أيضا كان شاباً وسيما متوسط الطول ذو جسم رياضي شعره أسود مجعد كان لدية دكان لبيع الأغراض المنزلية في السوق التي كنت أمر من خلالها كل صباح صرنا نلتقي عند ذهابي وعودتي أحببته وتعلقت به كثيراً

أخبرني مرة أنه كان يحبني قبل زمن من تقدمة لخطبتي . اتفقنا ان الزفاف سيكون تخرجي من الثانوية لكن ... فجأة تغير عليّ كثيراً لم يعد يهاتفني أو يحاول رؤيتي صار يتهرب .. مني .. و بدأ ابي يضغط علي حتى إنه بدأ يشك فيّ ، من أنه حصل شيء بيننا لهذا لم يفسخ الخطبة بعد كل تصرفات الشاب اللامبالية وتجاهله لكل شيء وصلت إلى حد لم أستطع النوم صرت أسبح في الأوهام تعبت نفسيتي لدرجة من الضغوطات فوقي وفي ليلة ظلماء قررت أن أذهب لرؤيته واحسم الموضوع ما إن راني حتى صار يتصرف باستهزاء وقلة أدب كنت مصدومة من تصرفه خفت منه فأردت أن انسحب غير إنه أمسك بيدي حاولت الإفلات منه دون جدوى أقترب مني فدفعته هاجمني ثانية لم استطع ان اصرخ عندها دخل أبي مباشرة ضن ما يريد أن يضن دون أن يسمع كلمة واحدة مني سحبني خارجاً من شعري وبدأ يضربني ثم خنقني حتى كاد يقتلني لولا تدخل الناس هربت متألمة مذعورة لا أرى سوى السواد اتخبط بالطرقات وحيدة

وشلالات الدموع تسيل ... منذ ذلك اليوم ،، لم ولن أعود ابداً "

كانت ملامحها ساكنه نظراتها مركزة في الفراغ مع بعض لآلئ متناثرة من عينيها وكأن خلف هذا السكون الذي يعتريها نار تتأجج عاصفة هوجاء . تعاطفت مهرة معها كثيراً حتى إن عيناها ادمعتا فكرت مهرة إنها ليست الوحيدة بهذا الأسى هناك الكثير مثلها فكرهت الرجال أكثر تنهدت ثم مسحت دموعها امسكت يد زهرة

" لا تحزني ، ارمي هذا الدفتر وإبداءِ من جديد لا أحد يستحق أن تبكي لأجله.."

أخذت نفساً عميقاً مسحت عيناها حاولت رسم ابتسامة على وجهها وقالت

" ستبدأ سنة جديدة بعد بضع ساعات .. وسنبتدئ كلتانا صفحة جديدة وكأن لم نعش اي شيء سابقاً .."

" أجل ،، هذا ما يجب فعلة "

" هيا لنحتفل.. لنرقص ولنضحك "

وكأن شيئاً سحريا نزل عليهما أخذنا تتحدثان وتضحكان ثم توجهتا إلى حلبة الرقص تحركتا ورقصتا كطفلتين سعيدتين لا يعرفن من الحياة سوى

اللعب الرقص والضحك احست كل منها بأنها حرة بلا قيود بلا أي شيء كفراشه لا تريد سوى التحليق عالياً حتى دقت ١٢:٠٠ انطلقت اللعاب نارية مكثفة في السماء توجه جميع من في المطعم نحو الشرفة كانت الأضواء تبدو خلابة وسط ظلمه الليل .

بعد انتهائها بدأ الناس يرحلون فخرجتا استأجرن بسيارة اجرة اوصلتهما إلى باب البناية حيث تسكن زهرة كانت تعيش في الطابق الثاني

" حسناً .. اراكِ في الغد " قالت مهرة

" ما الذي تقولينه ، شقتي في الطابق الثاني .. هيا بنا ستبيتين معي الليلة"

" لا اريد ان ازعجك "

" عن اي ازعاج تتحدثين.. لا تهذي هيا بنا "

دخلتا الشقة كانت الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل صغيرة مرتبة بشكل أنيق مع إنها لا تحتوي على الكثير من الأثاث تحتوي على غرفة نوم مطبخ حمام وغرفة جلوس ذات شرفة .

" ما بكِ تقفين هكذا اجلسي .. سأحضر لك بيجاما "

" حسنا ،، "

اعطتها البيجاما ثم عادت إلى غرفتها لتغير ثيابها ايضاً

" مهرة هل تودين شرب شيئاً "

" كلا شكراً لكِ "

" اذاً تعالي لننام "

استلقتا معاً على السرير تذكرت زهرة اخواتها عندما كن ينمن معاً شعرت بقصة في صدرها

" هل تعلمين ، ليس لدي اخت.. دائما ما كنت اتمنى أن تكون لي اخت واليوم اشعر امنيتي تحققت " قالت مهرة

" نحن اختان وسنظل معاً إلى الأبد "

شعرت زهرة أن الله عوضها بمهرة بدل أخواتها التي لن تستطيع رؤيتهن

لأنهن نمن متأخرات استيقظن متأخرات تناولتا فطورهما بفرح

"الن نعمل اليوم.."

"كلا .. اليوم عطلة أذهبي واستمتعي بوقتك كما تشائين "

" جيد "

" هل تعلمين بعد أسبوع من الآن عيد مولدي.. لم أحتفل به من قبل أبدا.. لكن في هذه السنة أود أن أحتفل كثيرا "

" حقاً !! بالتأكيد سنحتفل سنقيم حفلة كبيرة .. ولا تقلقي سأتدبر كل شيء "

" آه .. شكرا لكِ "

" لا تقولي ذلك لا يوجد شكر بين الاخوات "

خرجت مهرة للطريق كانت المرة الأولى التي تخرج فقط لتستمتع كانت تشعر باندفاع نحو الحياة عيناها تقطران حيوية ونشاط تبدلت لأنها هي أرادت ذلك ، ذهبت إلى السينما شاهدت فلم yüreğine sor اعجبها كثيراً

ثم إلى المكتبة لم يكن هناك كتب بالعربية فأخذت بالتركية كتاب ölu ozanlar derneğ كان يبدو مثيرا للاهتمام بعدها تسوقت بعض الملابس ثم وقعت عينها على قلادة ذهبية بشكل فراشة اعجبها فكرت أن تشتريه هدية لزهرة " بالتأكيد سيليق بها " قالت في سرها اخيراً بعد أن تعبت من التجوال دخلت الى كافيتريا لتستريح وتحتسي بعض القهوة قبل أن تعود ادراجها لأن النهار شارف على الانتهاء ، أثناء ما كانت ترتشف القهوة لاحظت رجل يجلس في الطاولة المقابلة كان يحدق بها وكأنه اول مرة يرى فتاة احست ان نظراته كالسهام تتخللها ازعجها هذا كثيرا حاولت تجاهله عبثاً نهضت وجلست على الكرسي الآخر بحيث لم تعد تراه. كان رجلاً قريب الأطوار يرتدي الأسود قوي البنية أسمر اللون شعره طويل قليلاً والأهم عينية الثاقبتين العميقتين رغم أنها بدلت مكانها إلا انها لازالت تشعر بنظراته احست بالقشعريرة و شيء من الخوف وإذا به يقف امامها ويقول " هل تسمحين بالجلوس على طاولتك " توترت رمقته بنظرة مرتبكة لكنها لم تعد تتحمل همت بجمع اشيائها والمغادرة دون أن تقول حرفاً واحداً ظل يراقبها بتصرفها الغريب بالنسبة له ما إن وصلت إلى

المخرج قال بصوت واثق " بالتأكيد سنلتقي مجدداً حتى وإن لم يعجبك"

لم تلتفت اكملت طريقها كانت الشمس بدأت بالمغيب والمطر بدأ ينهمر ركبت سيارة أجرة وانطلقت نحو مكان سكنها حين وصلت دخلت اغفلت الأبواب جيدا رمت بأشيائها جانباً جلست على السرير ثم تكورت كانت تشعر بشيء غريب مباغت مع شعور الخوف هي نفسها لم تكن تعلم لماذا تشعر هكذا ،، تشوش عقلها اندفع ألم مفاجئ برأسها ظلت متكورة أغمضت عينيها كلما تتذكره تتوتر أكثر " هل يمكن أن يكون تبعني!! " قالت لنفسها استفزتها هذه الفكرة بل ارعبتها قفزت نحو النافذة تفحصت المكان خارجاً كان شبه خالياً هرعت نحو نافذة الجهة الأخرى كان الأمر سيان ما اطمأنها قليلاً عادت إلى السرير استلقت تدثرت إلى أن قطت في النوم بعد أن تعبت من هلوساتها . عند الصباح صحت مع الكثير من الكسل ارتدت ملابسها أكلت بعض قطع البسكويت كانت تبدو أكثر هدوءً من ليلة البارحة ،كان لازال هنالك ساعة لبدأ العمل كان يوجد على الطاولة الجانبية بعض الأوراق البيض وأقلام ملونه لتضييع الوقت جلست وأخذت ترسم بعض التصاميم لم تشعر بمرور الزمن وهي غارقة بين الأوراق عند قدوم زهرة في ٩:٠٠ تفاجئت أن مهرة لم تفتح المحل بعد ظنت أن بها شيئا لأنه ليس من عادتها أن تتخاذل في العمل دخلت وجدت مهرة منغمسة في التلوين لم تنتبه لوجودها

" مهرة .. ماذا تفعلين " قالت بتعجب

" آه يالهي لم انتبه للوقت يمضي " قالت بعد أن نظرت للساعة همت بجمع أوراقها "ماذا كنت تفعلين بكل هذا التركيز !!"

" لا شيء كنت فقط .. " أخذت الأوراق من بين يديها وراحت تنظر إليها باندهاش ممزوج ببعض الإعجاب

" آه.. يا لها من تصاميم جميلة .. لمَ لم تقولي أن لديك موهبة كهذه "

" صدقيني انا نفسي لم أكن أعلم "

" ما رأيك تصممي المزيد وأنا سأخيطهم.. هكذا سنكون شركاء بالمثل "

" هل اعجبتك التصاميم لهذه الدرجة حقاً"

" أجل إنها رائعة .. "

" ماذا أقول إذا كما تشائين يكون "

اختارت زهرة احداها وقالت " هذا سيكون جيد لو غيرنا زخرف الأكمام.. سأبدأ بخياطة هذا اليوم لنرى هل سيعجب الزبائن أيضا "

راحتا تعملان كان العمل هو الحل الوحيد لمهرة لتخرج من افكارها لتنسى نفسها ، هكذا طالما هي تشغل يدها ستريح عقلها . مر النهار سريعاً كان متعبا من كثرة الزبائن اليوم كانت الشمس ترحل وخيوط الظلام بدأت تندفع في الإرجاء كما كان الثلج الأبيض يكسو الأرض ليعطيها ضياءً في عتمه الليل .

" لقد عملنا كثيراً .. هيا إلى اللقاء أراك غداً " قالت بينما كانت ترتدي معطفها ثم همت بالمغادرة ،، عندما اوت مهرة كانت عيناها تبرقان كانت فخورة بنفسها بمقدرتها على رسم أشياء جميلة جاء هذا الأمل وغطى على جميع احاسيسها واوهامها تخيلت أنها ستطور من نفسها حتى تصل الى الشهرة الكاميرات و الأضواء تلاحقها اينما ذهبت

" كم سيكون جميلاً .. لو حدث في الواقع " قالت لنفسها فقد أصبحت مثل عادة أن تحادث نفسها كانت نادراً ما تنام بسلام دون أحلام مزعجة دون آلام دون هلوسات .

صحت عند الفجر كان لايزال الظلام مخيماً تذكرت حينما كانت تفتح عينيها صباحا على صياح الديك في المزرعة تذكرت أمها وآخر كلماتها لها آخر عناق تمنت لو إنها ما ضطرت للهرب تذكرت صديقتها رشا التي لولاها لما تشجعت للرحيل قفزت دمعة من عينها على قفلة مسحتها حاولت أن لا تتذكر حاولت ان تمسح ذاكرتها أحزانها جراحها وكل شيء ..
وعند الساعة ٩:٠٠ بدأتا عملهما كالمعتاد لكن بعد فترة وجيزة من بدأ العمل رن هاتف زهرة أكثر من مرة ولم تجب لأنها تركز في الخياطة ولا تحب أن تلتهي بشيء لكن مع رنة الهاتف للمرة الخامسة

" اجيبي ربما شيء مهم .." قالت مهرة

" حسنا .. ناوليني الهاتف من عندك لو سمحتي "

بعد أن أجابت زهرة تغيرت جميع ملامحها كانت تبدو عليها إيحاءات التوتر الصدمة المفاجأة التشويش لقد اصفر وجهها تبدلت بالكامل

بعد أقل من عشر دقائق اقلقت الهاتف وبدأت دموعها تتساقط كمزنة شتوية مفاجئة قلقت مهرة كثيراً فبادرت بسؤال

" ما بكِ زهرة .. ماذا جرى "

" إنها.. أمي .. " قالت وقد حاصرتها الدموع ولم تقدر ان تكمل

" كفى لا تبكي ارجوكِ "

" إنها أمي .. ق قالت إن والدي .. يحتضر .. ويريد إن يراني قبل موتة تريد أمي أن أعود...انحنت وضعت يدها على رأسها حاولت أخذ نفس ثم اكملت ماذا أفعل الآن.. كيف لي أن أعود "

" لن استطيع " تمتمت

" لا أعرف ماذا أقول ولكن فكري جيداً ربما تندمين لأنك لم تذهبي لا يوجد في الموت عودة " قالت مهرة

" لن استطيع الذهاب .. "

" فكري جيدا في الآخر لست مجبورة على شيء إن كنت لا تريدين الذهاب فلا تذهبي "

عم الصمت في المكان كان في ذلك السكون الكثير من الكلمات المنسية كانت مهرة تتأملها بكل تفاصيلها دون أن تنبس بحرفا واحدا بينما كانت زهرة تعوم في بحر من الأفكار و الذكريات بعد صمت دام نصف ساعة

" يجب أن أبقى بمفردي " ثم ارتدت معطفها وغادرت ذهبت مباشرة إلى بيتها رغم أنها كرهت اباها لسنوات و تمنت لو لم تكن ابنته إلا أنها تألمت من أعماقها شيئا ما اهتز داخلها بعد كل هذه السنوات اكتشفت الحزن الحقيقي للمرة الأولى اكتشفت كم تحب اباها وكم كانت متعلقة به كانت تريد الذهاب لكن كان هنالك تردد و خوف يمنعها تلخبطت افكارها لم تعرف ماذا تفعل فقط ألقت بجسدها المثقل ارضاً وراحت تبكي كما لك تبك من قبل ظلت مرمية على الأرض الباردة و تنتحب .

بقت مهرة في قلق عليها خطرت لها أفكار سيئة فقررت أن تذهب لتطمئن عليها

عندما وصلت كانت الساعة ٥:٠٠ مساء طرقت الباب كثيراً لكن زهرة لم تفتح زاد قلقها وتوترها ظنت أنها فعلت شيئا بنفسها، تذكرت إن زهرة قد اعطتها نسخة عن المفتاح أخرجت فتحت الباب واندفعت إلى الداخل مسرعة فرأتها مستلقية أرضا ترتجف وقد غرقت بدموعها صدمت وخافت لم تتوقع ابدا أن ترى إمرأة قوية مناضلة مثل زهرة بهذه الحال كان مظلما قليلاً أشعلت المصباح اقتربت منها " زهرة .. زهرة هيا أنهضي الأرض باردة " قالت برقة فتحت زهرة عينيها الحمراوتين المتورمتين

" أريد أن اعانق أبي .. أريد أن أشعر بدفئة "

عانقتها مهرة حاولت منع نفسها من البكاء أمام زهرة انتشلتها من الأرض اجلستها على الاريكة وقالت

" يكفي لا تبكي أكثر .. سأحجز لك تذكرة للغد "

اومأت برأسها ايجاباً قضت الليلة تفكر في لحظة لقائها بوالدها ذهبت مهرة حجزت لها تذكرة السفر وعادت لم تتركها بمفردها عند الصباح توجهتا نحو المطار كانت الرحلة عند ١:٠٠ ضهراً

" اهتمي بنفسك.. المحل والزبائن في امانتك، "

" لا تقلقي على اي شيء "

" حسنا .."

"متى ستعودين؟ "؟

" لا أعلم حسب الوضع .. لن أبقى كثيراً .. لديك مفتاح احتياطي اسقي النبتات من وقت لآخر لو سمحتي "

" سأفعل لا تهتمي بأي شيء فقط اهتمي بنفسك وهاتفيني "

"إلى اللقاء . "

" إلى اللقاء "

ذهبت بعد أن تعانقا كانت مهرة حزينة لوداعها رغم أنها حاولت ان تبين العكس . عادت وحيدة كما قدمت إلى هنا اول مرة شعرت بالوحدة تجتاحها كانت بالكاد تحبس دموعها رغم أنها كانت فترة قصيرة إلا أنها أحبت

زهرة كثيراً وتعلقت بها صارت لها الصديقة الأخت والأم ، عادت إلى المحل نظرت الى الأقمشة الدبابيس الإبر ومكينة الخياطة شعرت بضيق أكبر فخرجت تتمشى حتى وصلت البحر جلست على الكرسي المواجه للبحر وراحت تتأمل البحر النوارس السماء والناس المارة تنظر إلى تعابيرهم ايحاءاتهم " ماذا أفعل بوحدتي من جديد ؟ " قالت لنفسها وقد خالجها خليط من المشاعر المخيفة المظلمة و الاحداث وحتى الانتقادات التي تطفوا تارة تضرب هنا واخرى هناك شعرت بقشعريرة في جسدها قضت ساعات وهي جالسة هناك تناجي البحر وتشتكي له حتى شعرت بشيء من الهدوء بعد أن هدأ ما كان يعصف داخلها وعادت الأمور ال طبيعتها انتظمت ضربات قلبها .

نهضت لتعود لأن الغروب بدأ يأخذ حيزاً من الأفق ولأنها شعرت بنعاس مفاجئ نظرت داخل حقيبتها لم تكن تحمل ما يكفي من النقود لاستئجار سيارة ولم تكن تعرف مواعيد الباصات في هذه المنطقة لذا عادت سيراً عل على اقدامها كانت تمشي ببطئ وهي تشاهد إنعاس الغروب على الماء كان مشهداً رائعا يهدأ النفس .

عندما اقتربت من مسكنها كان الظلام قد خيم على الأرض والمطر بدأ ينهمر بشكل خفيف وكأن الهواء برغم برودته منعشاً ، مشت تحت أضواء الشوارع ومصابيح السيارات التي تضيء الطرقات المبللة كانت أجواء جميلة .

كانت الشوارع قليلة الحركة وصلت تقاطع الطرق كان في الشارع الفرعي أضواء خافتة وأخرى تنطفئ و تشعل من تلقائها انتبهت لشيء مريب يحصل كان هنالك سيارتان إحداهما رباعية الدفع والاخرى قديمة الطراز وكان يقف رجلان خارجاً يرتدون ملابس سوداء أشكالهم مخيفة متشابهان بعض الشيء غير إن أحدهما يوجد جرح قديم وطويل على خده الأيمن توجهوا نحو السيارة رباعية الدفع ، شعرت مهرة بالريبة وقفت جانبا وراحت تراقب المشهد عن كثب .فتح أحدهم الباب كان هنا انزلوا رجلاً عجوزاً في الستينات يرتدي بنطالاً رماديا وقميص أبيض اللون كان يبدو مسكينا يائساً مستسلما لهم .

رموه نحو الأرض المبللة ظل مرمياً دون أن يحاول ان ينهض كان ينظر لهما نظرة عميقة جدا تقول شيئا بل تصرخ به كان ينظر إلى المرأة في السيارة رباعية الدفع التي كانت مواجهة له ، لم تستطع مهرة رؤية وجهها لكنها رأت شعرها الناري القصير فقط كان يبدو أن هنالك شخص آخر يجلس قربها لم تستطع أن ترا سوى خيالة بسبب العتمة

"الآن ستموت أيها العجوز القذر .. هل لديك أمنية اخيرة .." قال أحد الرجال بنبرة قاسية وحقيرة ثم أخذ يضحك فضحك الآخر معه ، ظل العجوز ينظر لهما باستهزاء لم يكن خائفا أبدا ، أعطت المرأة لهم إشارة بيدها فأخرج أحدهم سكيناً وغرزها في قلب العجوز دون ترف يده تسطح العجوز سابحا في بحيرة من الدماء.

كانت مهرة مصعوقة لما رأته خافت توترت أخذت ترتجف وتتصبب عرقاً رغم البرد القارس ، عيناها غورقتا بالدموع شعرت برعب شديد أرادت أن تنسحب قبل أن يلاحظوا وجودها غير إنها سقطت واحدث القليل من الضوضاء انتبه الرجلان لها تلاقت عيونهم الحادة بعينيها الفزعة هرعت تركض تتخبط بالأشياء بذعر ركضوا كلاهما خلفها كانت تريد أن تصرخ طلباً للمساعدة إلا أنها لم تكن تستطيع تفتح فمها بحرف واحد من شدة رعبها ظنت للحظة إنها لن تقدر على الهرب منهم سيمسكون بها كان الرجلان يقتربان منها عندما اصطدمت برجل كان يتكلم على الهاتف " س ساعدني .. ارجوك ساعدني " قالت وهي تلهث متعبة بصوت مرتاع وهي تمسك بسترته عندما التقت عينيهما للحظة عرفته كان نفس الرجل الذي التقت به في الكافتيريا قبل أيام هو كذلك عرفها حينها وصلا المجرمين أمسكوا بها فأمسك هو بيدها الأخرى جرها نحوه قائلاً "تلك سيارتي اذهبي واصعدي بها" قال لها وأشار إلى سيارة بيضاء في الركن هرعت نحوها ركبت واخذت تراقب الموقف من النافذة صار هو حاجزا بينها وبينهم ثم دار شجاراً عنيفاً بينهم كان كقتال الشوارع دام مدة من الزمن فانتهى بفقدان المجرمين وعييهما وخروج الرجل الذي ساعدها بالكثير من الجروح و الدماء تقدم نحو سيارته ركب أدار المحرك وانطلق بسرعة متوسطة كان المطر قد زاد غزارة .

كانت مهرة جالسة بجانبه وهي مذعورة بشكل رهيب متوترة ترتجف و دقات قلبها تكاد تكون مسموعة له لم تتجرأ أن تنظر له

ولم تعرف ما عليها فعلة في هذا الوضع رغم انه ساعدها وتحمل الكثير من الضرب دون أن يعرف عنها اي شيء ولا حتى اسمها إلا أنها لا تثق به بل تخاف منه أيضاً نظرت من النافذة كان الطريق خاوياً مما زاد من خوفها فصرخت بذعر " توقف .. توقف حالاً " أوقف السيارة وهو ينظر لها بتمعن شعر بخوفها توترها واضطرابها ، لم يكن هناك أي صوت سوى صوت وقوع المطر

"من كان هؤلاء الرجال ؟ ماذا يريدون منك " قال بشيء من الهدوء وهو يراقب حركاتها ظلت تنظر اسفلاً ثم قالت

"لا أعرف.." وفتحت الباب لتنزل فأمسك بيدها تجمدت بمكانها بالكاد كانت تتنفس شعرت إنه سيغمى عليها كانت اطرافها كالجليد

" دعيني اوصلك حيث تشائين .. لن اتركك بمفردك وسط الطريق" قال بصوت رقيق وهو يسعل بدا عليه أنه يتألم عم السكون لفترة ثم قالت وهي لا تزال لا تنظر إلية بصوت مرتجف بالكاد يسمع

" اسمع .. أشكرك لأنك ساعدتني.. لكن دعني أذهب الآن " حاولت سحب يدها لكمة لم يدعها

"لن اتركك مالم أتأكد إنك ستكونين بخير .." قال بشيء من العطف عندها رفعت رأسها نظرت له لعينية كانتا تحملان نفس نظرات المرة الأولى لكن بعمق أكبر شعرت بقليل من الطمأنينة بعينية فقالت

"اوصلني إلى شارع أيوب سلطان " قالت بعد أن اشاحت ببصرها عنه فرت بما انه لن يدعها وشئنها حتى يوصلها فليوصلها إذا

عندما وصلوا إلى المكان المطلوب قال قبل تنزل بشيء من المزاح

"لم أكن أعرف أن ثمن لقائك كل هذا .. يجب أن أستعد في المرة المقبلة"

لم تجبه فلم يكن وقتاً للمزاح نزلت " شكراً لك " قالت ثم اغلقت الباب وسارت حتى اختفت وسط الظلام دخلت المحل اقفلت الأبواب جيداً خلفها اسدلت الستائر لم تولع المصابيح سارت بالظلام خلعت معطفها المبلل تسطحت على سريرها .

لم تستطع ان تسيطر على ارتجافها شعرت ببرد شديد تدثرت بكل الاغطية ولا زالت تشعر بالبرد خيمت عليها الخوف والأوهام شعرت ببعض الآلام في معدتها و بألم مفاجئ برأسها لم تكن قادرة على النوم كما لم تكن قادرة على فتح عينيها أو عمل اي حركة بسيطة زاد شعورها بالبرد بدأت تهلوس كانت شبة فاقدة الوعي " أمي.. أمي أين انتِ " قالت وقد تمكنت الحمى منها وارتفعت درجة حرارتها كثيراً ،،

ثم فجأة وهي بالكاد تفتح عينيها رأت الرجل الذي ساعدها قبلاً يقف بجانبها وضع يده على جبينها ليتحسس حرارتها كانت يداه دافئتان أحست بإحساس غريب أثر لمسته ، ثم أحضر منشفة مبللة ووضعها على جبينها وأخرى على يديها انتفضت حاولت ابعادهن لكنها لم تستطع ، ثم أحضر بعض الأدوية والماء وأشربها إياه ظلت تشعر بوجوده قربها إلى أن بدأت حرارتها تخف أحضر لها بعض الحساء الساخن اطعمها إياه ببطيء بيديه الملئة بالحنية كيدين الأم عندها بدأت تشعر بالدفيء آلامها بدأت تختفي شعرت بالراحة واحساسها بوجوده قربها ممسك بيدها اشعرها بالأمان قطت في نوم عميق وكأنما لم تنم منذ أشهر...

عند استيقاظها صباحاً شعرت بتحسن كبير ولحظات من السكون وكأنها في عالم آخر ثم فجأة تذكرت وجود رجل قريب معها في ذات المكان نهضت منتفضة نظرت جيداً لم يكن هناك أي أحد ذهبت لغرفة العمل أيضا لم يكن هنالك أحد تأكدت من الأبواب كانت مقفلة من الداخل شعرت بالضياع تشوشت أفكارها

"إذا كيف .. كيف دخل " قالت لنفسها بحيرة ثم عادت لغرفتها كان بالفعل هنالك حساء وأدوية وكوب ماء فارغ وبعض المناشف ما زاد في تشتتها "كيف يمكن ذلك .. إن كان دخل كيف .. وإن كانت هلوسة ما كل هذا " قرفصت بمكانها امسكت رأسها ظلت تتساءل اندفعت الكثير من علامات الاستفهام في آن واحد دون أي أجابه وفوق ذلك سرعان ما عادت وتذكرت ليلة أمس المريرة ذلك العجوز دمائه و عينيه العميقتين فتوارت الذكريات تمنت لو إنها تفقد ذاكراتها بقت في مكانها ساكنة حاولت التفكير بكل ما حصل وفهمه غير إنها لم تقدر فقد اندلعت حرب عالمية داخلها و انقض عليها كل ما عايشته في الامس كما ينقض الصغر على فريسته وكأنها تعيشه مرة أخرى او كتسونامي جارف مع عواصف الخوف

والذعر ظلت على تلك الحالة المزرية حتى الظهيرة لم تأكل أو تشرب وفجأة قاطعها رنين الهاتف ولم تجب رن مرة أخرى عند ٢:٠٠ نهضت مترددة الخطى وكأن هناك من يراقبها وصلت نحو الهاتف رفعت السماعة بفتور كانت زهرة المتصلة شعرت بأمان مفاجئ فأجابت بسرعة

" مرحباً زهرة .. كيف أنتِ " قالت بصوت متعب وهزيل

"مرحبا بكِ .. بخير وانتِ " ردت هي الأخرى بصوت حزين

"لا تعرفين كم كنت محتاجة لسماع صوتك "نزلت بعض الدموع وارتجف صوتها لكنها حاولت أن تخفي ذلك قدر المستطاع

"مهرة هل تبكين .. ما بكِ لا تقلقيني عليكِ "

"لا تقلقي أنني على ما يرام.. فقط اشتقتك "

" آه وأنا اشتقتك "

"ماذا حصل معك هل رأيت اباكِ؟ "

" حكاية طويلة ارويها لك عندما أعود أشعر بالاختناق .. انا بحاجة لتكلم مع صديق " بدا على صوتها الألم والضيق وربما كانت تبكي هي الأخرى

" هل قررت متى تعودين؟ "

" لا أعرف بعد .. غالباً بعد أسبوعان "

" حسنا إلى اللقاء .. اهتمي بنفسك "

" أجل إلى اللقاء "

انهت المكالمة بسرعة لأنها شعرت برغبة ملحة مباغتة بالبكاء لكنها حاولت أن تواسي و تهدأ نفسها بنفسها فقد اعطاها صوت زهرة بعض القوة فكرت جيداً ثم قررت أن تذهب إلى مركز الشرطة وتحكي ما رأته بالتفصيل ارتدت ملابسها لفت وشاحا على رقبتها ورفعته قليلا على وجهها فقد كان ارتداء وشاح مثل عادة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لها

وصلت المركز دخلت بتوتر وقلق شديد نظرت حولها إلى كل شيء

شعرت برهبه لكنها اصرت على المضي قدما تقدمت ببطيء وخطى مرتبكة نحو شرطي يجلس خلف طاولة مربعة فوقها العديد من الملفات والأوراق المبعثرة فأخبرته إنها تريد الإبلاغ عن جريمة حصلت بالأمس رافقها إلى غرفة المحقق المسؤول عن هذه الأمور كان يدعى باريش

كان يبدو عصبياً حاد الطباع حاجباه مقتطبان عيناه خضراء اللون لكنه لم يكن وسيما طرقت الباب ودخلت بعد أن سمح لها

" تفضلي كيف يمكنني مساعدتك ؟ " قال بينما القى نظرة خاطفة عليها وعاود نظرة إلى الملف بين يدية

"لقد حدثت جريمة قتل مساء البارحة .." ما إن سمع ما قالته حتى غلق الملف وضعة جانبا وركز نظرة عليها كمن بدت علية الصدمة أو كمن كان يعرف مسبقاً

" تفضلي اجلسي أسمعك.." قال بنبرة جادة جدا

جلست على الكرسي المقابل له وبدأت تشرح له كل ما جرى بتفصيل مع وصف أشكال المجرمين وشكل الضحية ومكان وقوع الحادث كان يصغي لها بانتباه دون أن يقاطعها باي سؤال بدت علية تعابير غامضة

ثم نهض تمشى بضع خطوات وهو يحك ذقنه

"إن كان صحيح ما تقولينه لما الشرطة ليس لها علم بجريمة حصلت بالأمس " قال بنبرة حادة أكثر ثم أكمل

" ولما لم تأتِ بالأمس.. لما انتظرتِ "

" لأنني كنت خائفة .. اخبرتك انهم لحقوا بي .. بدل أن تحقق معي أذهب وحقق بالحادث " تلكأت قبل أن تتكلم بصوت متقطع

" هل تعلميني كيف أعمل يا هذه " صرخ بوجهها مما اخافها فلم ترد عليه

" سأذهب الآن لأبحث في المسألة.. وإلى أن أعود ممنوع تذهبي إلى أي مكان " قال بشيء من الغضب ثم خرج مسرعاً أعطى تعليماته للشرطي أن لا يدعها تذهب ثم غادر ظلت جالسه تنتظر أن يجد ولو اي دليل بسيط

مرت الساعات وهي تنتظر هبط الليل وبدا الثلج ينهمر ليكسوا الأرض بياضاً ولم يعد بدأ الليل يتقدم والضجيج يتلاشى حتى أقترب الصبح و أخذ النور يأكل أطراف الظلام عندها حضر المحقق لم يكن شكلة يوحي بأنه كان يعمل كان يحمل معطفه بيد وسيجارة باليد الأخرى كانت ملابسة مشبعة بالدخان وبرائحة الكحول ثم قال غاضباً

" لم تحدث جريمة كهذه.. لا يوجد أي دليل على كل شيء طبيعي ربما تتوهمين .. أو أنك انت القاتلة "

"أنا لم أفهم .. ماذا تقول الم تذهب للعنوان الذي اعطيتك إياه؟ "

"ذهبت لا شيء على الإطلاق.. اذهبي ومن الأفضل أن تنسي هذا الموضوع وإلا .. لن تستطيعي الخروج أبدا "

" ولكن .." غمغمت

" هيا ارحلي.." صرخ بقسوة

ارتعدت اضطربت و خرجت مسرعة كانت الطرقات خاوية في ساعات الصباح الأولى . قررت ان تذهب لمكان الحادثة ما إن وصلت حتى صعقت كان كل شيئا طبيعيا وكان لم يحدث شيء لا آثار ولا اي برهان على وقوع حدث هنا تراجعت وأخذت تركض بالشوارع وحيدة تحت الثلج ومع الرياح العاتية كانت ترتجف مذعورة وهي تعدو بالكاد استطاعت أن تصل مسكنها دخلت اقفلت الباب خلفها قرفصت في إحدى الزوايا حائرة مشوشة الفكر تاهت بين الحقيقة والسراب صارت تشك في نفسها ظنت نفسها جنت كان هناك سيل من الظنون وأمواج من مشاعر الرعب التي احستها وهي تفكر بانها فقدت عقلها لم تعرف ماذا تفعل أو كيف تتصرف لقد رأت كل شيء وكأن واضحا ثم فجأة يختفي بلا أي أثر أنه كان

كانت داخل دائرة من الأفكار تدور و تدور وتعود لنفس النقطة .

مرت عدة أيام وهي منطوية على نفسها بغرفتها الصغيرة دون أن تأكل شيئاً حتى أنها لم تجب مكالمات زهرة شعرت بفراغ كبير وضياع حتى بدا الاعياء على جسدها المنهك نهضت تتوكأ بالكاد

ترى طريقها كانت تشعر بالاختناق الشديد فتحت النافذة لتستنشق بعض الهواء ما إن أخذت اول شهيق حتى اغمي عليها .

فتحت عينيها ببطيء وإذا بوجه جميل يبتسم لها ويسالها عن حالها لم تجب اغمضت عينيها ثم اعادت فتحهما بعد إن عاد لها وعيها بالكامل نظرت حولها إنها بمكان مختلف "أين أنا.." تمتمت

" أنتِ بالمشفى لقد فقدت وعيك بسبب الإعياء وسوء التغذية " قالت الممرضة الفاتنة التي كانت تقيس لها الضغط

" من احضرني هنا ؟ "

" لا أعلم اسألي الدكتور " قالت بلطف ثم خرجت

"يالهي .. ماذا يجري لي .. ربما الآن انا اتوهم أيضا.." قالت لنفسها ثم وضعت يدها على عينيها وبكت من عجزها في التمييز الواقع من الخيال حاولت تهدأ نفسها عندما دخل الدكتور

"كيف تشعرين نفسك الآن؟ " قال بهدوء

" لا أعلم.. من احضرني هنا ؟ "

" احضرك رجل لم أعرف اسمه ولكنه كان خائفاً عليكِ "

" أين هو الآن؟ "

" لا أعرف ربما رحل "

" هل يمكن أن يكون هو " قالت في سرها متجاهلة كلام الطبيب الذي كان ينصحها بنظام غذائي للتحسن لكنها مشغولة البال بأشياء أخر " إذا كان فعلا هو من احضرني هنا إذا هو كذلك كان عندما أصبت بالحمى ولم أكن اتوهم ولابد من انه الآن يراقبني " قالت لنفسها نهضت فأوقفتها حقنة المحلول المغذي

انتظرت حتى انتهى وازالته لها الممرضة خرجت كانت تبدو بحال أفضل من ذي قبل بحثت عنه ذلك المجهول التي لا تعرف عنه شيء سوى شكل وجهه رغم إنها لم تكن تثق بالرجال بل وحتى تكرههم ولكنها كانت تشعر بشعور غريب يجرها نحوه

عادت إلى المحل احست بطاقة تتخللها وتحسن لم ترد إن تتذكر الأيام القليلة الماضية قررت أن تنسى كل شيء وترحل حالما تعود زهرة

حاولت ترتيب أفكارها و مسح الأجزاء التي لا يزال عليها بعض التشويش ألقت جميع الأسئلة من رأسها لم تعد تريد أن تعرف شيئاً أخذت يوماً آخر استراحة ثم في اليوم التالي كان الجو مشمسا وهادئاً رتبت المكان وفتحت الستائر و الأبواب بدأت بالعمل بعد انقطاع فترة وجيزة عادت لطبيعتها قررت أن تكون اقوى وأن لا تسمح لشيء أن يأثر عليها ولو حتى بشكل بسيط مع إنها فتحت الأبواب منذ الصباح إلا أن لم يأت سوى زبون واحد وخرج غير راضٍ عن النتيجة .

عند حلول المساء لم تغلق المحل بل قررت أن تفتح لساعات إضافية عند ٧:١٤ انتهت من تناول عشاءها فأحست إنها متعبة بدأت تتثاءب مسحت وجهها بيدها فقررت أن تزيل الفوضى ثم تغلق الأبواب وتذهب للنوم .

لم تنتبه دخل رجل ببطيء كمن يتسلل اغلق الباب انتبهت له ظنته زبون لم تر وجهه كان مولياً اياها ضهره

" عفواً .. ماذا تفعل يا سيد ؟ " قالت بضجر

" الآن ستعرفين " قال باستهزاء كان صوتاً مألوفاً لها

عندما استدار كان أحد الرجلين الذين قتلا العجوز بدمٍ بارد تلاقت عينيهما كانت عيناه حاده تقدح حقراً، ذعرت اندفع شيئا ما داخلها ازدادت وتيره تنفسها تقدم نحوها بفتور ثم همت تركض نحو غرفتها الصغيرة اغفلت الباب ركض خلفها أخذ يطرق الباب بقوة ومع كل طرقه كان ينتزع منها قلبها من شدة رعبها ، حاول كسر الباب وبعد دقيقة كان قد كسرة بالفعل بعدها بدأ يضحك ضحكة هستيرية تنم عن المكر

" اليوم سترحلين .. لكن قبل ذلك ستدفعين ثمن التعب الذي سببته لنا .." قالها بنذالة ثم عاود ضحكته النتنه

كان يرتدي الأسود ويضع مسدساً عيار ثقيل مع كاتم صوت حول خصره كانت الإنارة خافتة بتلك الغرفة أخذ يتقدم نحوها وأخذت تزداد هلعاً "ار ..ارجوك .. دعني وشئني" قالت بصوت خافت متقطع مرتجف بالكاد يسمع

وكأن لم يتحرك باغتها الم في بطنها نظرت حولها كان يوجد مزهرية زجاجية اخذتها كسرتها على حافة السرير و وجهت الجزء الحاد نحوه وهي تقول " لا .. لا تقترب أبقى بعيدا " ضحك وكأنها قالت نكتة ثم قال بصوت خشن وقاسي

" والآن كفى دراما .. دعيني انهي عملي بسرعة "

حاولت الهروب أمسكها انقض عليها كما صياد ينقض على فريسته حاولت ردعة كان اقوى منها بكثير ألقاها ارضاً ارادت أبعاده دون جدوى وقعت عينيها على جزءً من المزهرية المحطمة بالقرب منها امسكته وبما واتيت من قوة غرزته نحو خاصرته اليمنى ابعدته عنها وراحت تعدو كعداءة متمرسة لم تكن تشعر بقدميها العاريتين على الطرقات الباردة المبللة بالمطر لم تعرف أين تذهب كانت تريد فقط الابتعاد إلى أقصى حد ممكن ،، أما هو فلم يكن جرحه خطير أخرج الزجاجة ازداد النزيف ضغط على الجرح بيده ثم نهض راكضاً خلفها بعد أن احمرت عيناه واشتاط غضباً لأنه لم تفلت من يديه ضحية ضعيفة كمهرة عندما خرج مسرعاً لمحها تدخل الفرع يساراً لحقها وهو يردد "لن ارحمك.. لن ارحمك ابداً "

ظلت تركض دون أن تميز طريقها من شده الهلع من كثرة الدموع المتساقطة كأوراق الخريف عندما تهب عليها رياح الأسى
لم تنتبه ابتعدت كثيراً ظنت أنها في مأمن شعرت بأعياء شديد جثت ارضاً كانت تلهث تكاد انفسها تقطع مسحت الدموع بيدها المرتجفة نظرت حولها للمكان كان مكاناً مخيفاً ،كئيباً، مهجوراً ذو إضاءة صفراء خافتة زاد المكان من خوفها نهضت استدارت لترحل كان هناك يقف خلفها يحدق بها . ظنت أنها النهاية بدا كل شيء اسوداً

سقطت ارضاً وهي تحني رأسها اسفلاً كان يقف على بعد عشرون قدماً .

أخذ يتقدم نحوها كان مطمأناً لأنه يرى من تعابيرها إنها استسلمت ولن يأت أحد لنجدتها هنا بل فكر إنها سهلت عمله بمجيئها مكاناً مهجوراً كهذا رفعت رأسها بحذر نظرت بعينية بكل أسى وألم وقالت بصوت واطئ مبحوح " لماذا تريد قتلي .. لماذا تفعل هذا بي "لأنك رأيت ما لم يكن عليك رؤيته.. وبعد ضربت بسببك بعد أن جرحتني انظري إلى دمي .. أن ادعك الآن شيء مستحيل " قال بغضب شديد أخرج مسدسه صوبه نحوها انزلت رأسها واغمضت عينيها لم ترد إن يكون آخر شيء تراه هو هذا القاتل كما لم تتوسله وفجأة سمعت صوت الرصاصة ظنت للحظة إنها ماتت لكنها لم تشعر باي شيء سمعت صوت أحد يُضرب فتحت مقلتيها نظرت لنفسها كانت سليمة ثم نظرت أمامها بالفعل كان هو الرجل المجهول جاء لنجدتها نهضت ابتعدت عنهما قليلاً كان بينهما شجارا حامياً

" من الجيد إنك جئت بقدميك.. وفرت علي عناء البحث " قال القاتل " وأنا بحثت عنك لأنهي ما بدأت .. هذه المرة لن اتهاون ابداً "

قال الآخر واستمرا بالعراك كان القاتل أقل قوة خاصة مع جرحة لكنه استقل سقوطه فأنقض علية من الخلف وبدأ يخنقه لم يكن الآخر يستطيع أن يفلت نفسة فقد كان القاتل قد ثبت نفسة جيداً
احتارت مهرة لم تعرف ماذا تفعل لم تقدر على الذهاب وترك من ساعدها هكذا كما لم يكن بوسعها شيئاً فجأة وقع نظرها على المسدس كان مرمياً جانبا ، كان الرجل يختنق اندفعت من دون تفكير أمسكت بالمسدس واطلقت النار ارتجفت يداها تجمدت بمكانها كصنم . بينما القاتل وقع ارضاً نهض الرجل يسعل وقد أحمر وجهه أقترب منه تحسسه كان بالفعل ميتا هرع نحو مهرة أخذ المسدس منها مسح عنه البصمات والقاه جانبا حاول أن يكلم مهرة من دون فائدة لم تكن تسمع شيئا أمسكها من يدها وجرها نحو سيارته اركبها وانطلق مسرعا.

أخذها إلى مكان بعيد على الشاطئ كان هنالك بيت صغير أشبه بكوخ خشبي قديم كان المطر قد توقف وصارت نسمات الهواء هادئة منعشة ، اوقف السيارة أنزلها فجأة بدأت تخرج عن جمودها بدأت تبكي و تصرخ

"أ ..أنا قتل..ته ،، لم أكن.. لم أكن أريد قتلة .. أنا مجرمة "

قالت وهي تنهار أكثر وتبكي بهستيرية كان الرجل يقف قبالتها يحاول تهدئتها أمسك يدها وهو يحاول أن يخرجها من انفعالاتها بلا جدوى بعد فترة ازداد حالها سوءً ، ولم يكن هو قادر على إيقافها ثم فقدت وعيها ، حملها إلى الداخل كان الكوخ مرتب لم يكن يبدو مهجوراً كان يحتوي على سرير، أريكة طويلة، موقد والقليل من أدوات المطبخ عند الزاوية وضعها على السرير دثرها اشعل فانوساً ثم أحضر بعض الحطب واشعل الموقد . أراد أن يخرج وينتظر بالسيارة حتى الصباح لكنه لم يستطع منع نفسة من النظر لها وتأمل وجهها البريء ، شعرها الليلي كان ينظر لها بعمق ومشاعر سامية

كان كمن ينظر إلى القمر من على الأرض يود لو يقترب لو يلمسه لكنه لا يستطيع ،،،

في الصباح عندما عندما فتحت عينيها ونظرت إلى السقف لوهلة ظنت أن ما رأته كان حلم سيئاً لا أكثر ظنت أنها بسريرها المعتاد لكن سرعان ما هاجمتها الذاكرة كهجوم النحل أخذت تقرصها هنا وهنا وهناك أمسكت رأسها ونهضت منتفضة عادتها نوبة الهلع لكن بوقع أخف فرغم أنها كانت مضطرة لقتلة إلا أنها لم تكن تريد قتلة فقد كانت لا تحب العنف تحت اي ظرف بل كانت تمقته. ظلت واقفة مكانها بضع دقائق ثم هرعت خارجاً والدموع تملئ عينيها فتحت الباب اصطدمت به كان يقف خارجاً

"صباح الخير!! " قال

" ابتعد أريد الخروج "

" إلى أين؟ "

" ليس من شأنك .. أبتعد أنني اختنق "

" ليس من شأنك!!! "

" اسمع أشكرك لأنك أنجدتني .. لكن دعني أخرج انا لست على ما يرام "

تنحى جانباً ليدعها تمر خرجت كان يحمل بعض أكياس الطعام وضعها بالداخل ثم تبعها ذهبت ناح البحر وقفت مواجهه له كانت إيماءاتها غريبة أقترب منها عم الصمت فترة ثم استدارت لتذهب اعترض طريقها

"أين تذهبين؟ "

" وبما يهمك .. أنا الآن.. أنا قاتلة "

"لا تقولي ذلك لو تقتليه لكنت مكانة.. من الأفضل أن تبقي بعيدة بضع ايام "

" لا داعي أنا اتدبر امري "

" لن ادعك تذهبين بهذا الوضع فهمتي "

" وكيف لي أن أبقى معك وحدي .. ماذا تظنني يا هذا "

قالت ثم دفعته ومشت غير إنه أمسكها وقد بان علية الغضب

" ما هذا الكلام أنني أفعل ما بوسعي لأحميك من الجميع.. ومن نفسي وهذا ما تظنيه بي "

" لست مجبر على ذلك .. أتركني.. أتركني "

" بل انا مجبر لأنني أح... "

عم الهدوء في الإرجاء بعد تلك العصبية والانفعالات تركها كانا ينظران بعيني بعضهما يقول لها شيء بوضوح وهي تتجاهل لا تريد أن تسمعه ظلا صامتين فترة ثم قطعه قائلاً

" تركت لك بعض الطعام بالداخل.. المفتاح تجديه على الطاولة اقفلي الباب جيداً .. لن ازعجك لكن أبقي هنا "

ثم توجه نحو السيارة وقبل أن يركب أردف قائلاً

" ادعى شوكت .. " قالها بأسى مع نظرة خاطفة لها وغادر بقت وحدها وسط هدوء عارم شعرت بألم يتدفق إلى رأسها شعرت بتشنج يتخللها حاولت الاوهام مهاجمتها مرة أخرى لكنها لم ترد تستسلم هذه المرة ركضت نحو البحر الهادئ المتلألئ على ضوء الشمس ورمت بنفسها داخلة لم تتعمق كثيراً لأنها لم تكن تعرف السباحة جيدا ولكنها براحة وانتعاش ، شعرت بأن المياه اطفأ غاباتها المحترقة وأخمدت آلامها، أوهامها، أحزانها شعرت أنها خفيفة كالريشة أخذت نفسا عميقا وخرجت من الماء فأحست بأن كامل جسدها بدأ يتجمد ويتصلب أسرعت نحو الداخل كان الكوخ دافئً لكنه لم يدفئها كان هناك ملابس رجل معلقة قرب السرير اخذتها غيرت ملابسها وجلست قرب الموقد ثم باغتها إحساس مفاجئ بالجوع الشديد كانت الاكياس لا تزال مرمية على مقربة منها فتحتها كانت تحتوي علي الخبز وبعض الأجبان والمربى وبعض علب التونة وزجاجة عصير وبعض الفاكه أكلت ثم لفت نفسها باللحاف وغطت بنوم عميق وكأنها مخدرة من الموقد .

لتستيقظ عند الثانية فجراً فزعة كانت قد رأت ذلك القاتل في نومها كانت تتصبب عرقاً أزالت اللحاف عنها ونهضت كانت تشعر بحر شديد انارت الفانوس وخرجت أخذت نفسا عميقا

شهيق وزفير كانت النجوم تتلألئ في السماء الصافية والقمر منيراً يعكس نوره على البحر كان المنظر يدخل السكون للنفس " يكفي .. لن أخاف بعد اليوم كما ولن استسلم سأتحلى بالشجاعة وسأحارب لأجل نفسي لأجل أحلامي هذا قسمي لنفسي أمامك ايها البحر .. أيها القمر ..أيتها النجوم "

قالت لنفسها بصوت عالي وعزم ، ثم احست بالبرد يداعبها فعادت إلى الداخل جلست تفكر بما يجب عليها فعلة اعادت جمع الأحداث منذ البداية بحكمة ، لم تنتبه لمرور الوقت وهي مستغرقة في التفكير فجأة انتبهت أن الصبح حل والشمس بدأ تفترش قلب السماء لتطفي جمال على جمالها . كان الشروق رائعاً جداً بجانب البحر قضت حياتها تراقب الشروق و الغروب من المزرعة لكنه لم يكن بهذا الجمال ظلت تتأمله حتى ارتسمت الشمس بكبد السماء

شعرت بالسلام بوحدتها مع البحر تمنت لو تعيش باقي عمرها هنا فلم يأتها من الناس سوى الأسى و الألم .

مر يومان على عيشها بسلام روحي ولم يأتِ شوكت إلى ذلك الكوخ كانت كلما تتذكره أو تفكر به يشب صراع بين قلبها وعقلها، القلب يقول بانه مختلف بشيء ما أنه جدير بالثقة والعقل يقول كلا أنه كباقي الرجال ولا يجب أن تثق به ابداً فمنذ أن قابلته في الكافتيريا أول مره شعرت بشيء ما شعور تجهله وما زالت تشعر به لكنها تتجاهله

في الصباح التالي كانت الشمس الذهبية منتصبة وسط السماء وكانت مهرة تجلس على رمال الشاطئ تراقب رقصات النوارس فكرت أن اقامتها هنا افادتها كثيراً جعلتها تتصالح مع نفسها ،

عندما قدم شوكت من خلفها تمثلت له وكأنها حورية خرجت من البحر سراً أبتسم تقدم نحوها احست بوجوده نهضت واستدارت نحوه

" صباح الخير "

" صباح النور "

" أراكِ اليوم بحال أفضل بكثير "

" أجل .. لقد افادني المكان جداً ، شكرا لك "

" الشكر لله .. تعالي لنجلس .. والآن اما زلتي لا تريدين اخباري ما الأمر؟ "

ترنحت ثم راحت تحكي له كل شيء من البداية وهي تنظر للبحر كان يستمع لها بتركيز عندما انتهت قال

" أجل فهمت .. وعائلتك هل تعرف بكل هذا ؟ "

ارتبكت بقت صامته لبرهه ثم اجابته بدون أن تنظر له ، كان يراقب إيحاءاتها بتمعن

" كلا .. لانهم يعيشون بمدينة أخرى.. لم أرد أن ازعجهم "

"إذاً .. كان للقاتل شريك وربما يكون أخية عندما يعرف بموته بالتأكيد سيبحث عنكِ .. يجب أن تضلي مختفية بهذه الفترة "

" كلا.. لن اختفي بل سأواجه مشكلتي وأحلها بنفسي"

" لن تستطيعي مجابهتهم وحدك انهم مجرمون "

" أعرف ذلك .. وأعرف أنني أستطيع "

" ماذا تنوين فعلة الآن "

"سأبحث بالمسألة من البداية وأعرف كل شيء بعدها اتصرف "

" حسنا .. أنا معك "

" شكرا لك ولكنني أريد الاعتماد على نفسي "

بقي صامتاً بضع دقائق ثم قال " حسنا "

" يجب أن اذهب الآن.. ربما تكون صديقتي قد عادت من السفر إن لم تجدني ستقلق ، انتظرتك فقط كي اكلمك قبل ذهابي "

" دعيني اوصلك "

" حسناً .. سَلُمت "

ثم غادرا المكان لم يتحدثوا طوال الطريق عندما وصلوا قدم لها ورقة مطوية

" ما هذا "

" هذا رقم هاتفي .. لا تترددي بالاتصال إذ ما احتجتِ لشيء "

" حسنا "

بعدها كل ذهب بطريقة وجدت مهرة باب المحل مقفلاً تأكدت من أن زهرة قدمت توجهت نحو إحدى المزهريات بجانب الباب حيث كانت تضع مفتاحا احتياطياً وفجأة سمعت صوت فتح القفل ثم فتح الباب كانت زهرة تقف خائفتاً كما الأم حين يتأخر صغارها عن المجيء " مهرة .. " قالت بكل عطف ثم ضمتها إلى صدرها بكل حنان كانت كل منهما سعيدة برؤية الاخرى كل منهما دمعت عيناها اجتاحتهن موجه مشاعر من الحب و الشوق كان حضنها دافئ متضمنا كل مشاعر الود يشعرك بأنك تملك العالم وكأنك

اكتفيت من كل شيء قلة من الناس من يجدون من يحبهم بصدق وقلة من يشعرون بذلك الشعور معهم و أولئك أكثر الناس حظاً .

" هيا ادخلي .. " قالت زهرة ثم اوصدت الباب واستأنفت تقول

" ماذا حدث اخبريني كدت اموت من القلق .. الآن كنت متجه إلى الشرطة "

" أنا بخير لا تقلقي.."

" الن تخبريني ماذا حصل ! "

" الآن سأشرح لكي .. لكن عديني أن تبقي هادئة "

أخذت تشرح لها كانت زهرة تصغي بصدمة كبيرة وخوف وقلق وما أن وصلت بحديثها لتلك الليلة حتى صعقت

" ماذا .. قتلتي رجلاً يالهي ماذا نفعل الآن "

" اهدأي ودعيني أكمل.."

اكملت لها بهدوء باقي الحكاية لكنها لم تقدر ان تسيطر على خوفها

" ليتني لم اتركك بمفردك.. دعينا نذهب من هنا بسرعة هيا أمشي"

" حسنا دعيني فقط اغير ملابسي "

ذهبت إلى غرفتها الصغيرة فاستحضرت كل ما عايشته هنا تلك الليلة اندلعت رجفة بكامل جسدها دخلت ببطء ورأت بقعة الدم خلف السرير تسارعت أنفاسها تسرب الخوف إلى قلبها الصغير "لا يجب أن يبقى هذا هكذا .." قالت لنفسها أمسكت بشرشف السرير وراحت تمسح الدماء بقوة عندما رأت صورة أسفل السرير اخذتها تفاجئت كانت صورة العجوز مع فتاة جميلة نارية الشعر يقفان امام فيلا جميلة وانتبهت لشيء مكتوب خلف الصورة بخط شخص متمرس على الكتابة جيداً .

(ليت اليوم لم ينتهي ليتني لم أعرف أبداً ..)

" من كتب هذا يا ترى " قالت في سرها ثم اكملت ما تفعله وغادرت مع زهرة إلى بيتها . عند وصولهما

"يجب أن تبتعدي عن المدينة لأجل سلامتك ، لدي صديقة خارج البلاد أوصيها بك لتقيمي عندها "

" كلا ، لا استطيع بعد أن وصلت لهذه النقطة يجب أن اعرف لما حصل هذا؟ "

" لكن هذا.."

" ارجوك لا تمنعيني لن ادخلك في المسألة "

" إنني خائفة عليك فقط ! "

" أنت لا تعرفين معاناتي، كلما اويت للفراش رأيته كل لليلة استفيق فزعة لن يفارقني هذا حتى لو ذهبت بعيدا "

" مهرة أنا معك دائما ولن اتركك.."

" اشكرك على وقفتك معي "

"الم نتخطى الشكر بعد، ماذا ستفعلين الآن؟ "

"أمسكت برأس الخيط ، سأتتبعه "

" ما هو ؟ "

" انظري لهذه الصورة، صورة العجوز المغدور وانظري الى الفيلا خلفة يجب أن أجدها واذهب إليها.."

" دعيني أرى جيداً .. مثل هذه الفلل في منطقة سلطان أيوب، تاريخ أخذ الصورة قبل شهرين! ترى ما الذي عرفة بذلك اليوم ليكتب هكذا .. مهرة! الم تخبريني عن فتاة شعرها ناري مثل هذه التي بالصورة ربما تكون نفس الفتاة "

" كلا لا يمكن تبدو هذه كأبنته مستحيل أن تقتل الأبنة أباها "

" يجب أن نذهب لتلك المنطقة غدا صباحا لنبحث عن الفيلا.." قالت زهرة . مضت تلك الليلة بتاني شديد قبل أن يبزغ الصبح لم تستطع ان تفطر اكتفت بشرب شاي عند انتهاءهما من الفطور توجهتا مباشرةً نحو منطقة سلطان أيوب عند وصولهما كانت الساعة ٩:٥٥ مضى النهار بطولة وهن يبحثن عن الفيلا بلا فائدة لم يجدن غير واحدة مشابه وسرعان ما تلاشى املهن حينما اكتشفن إنها مهجورة منذ عشر أعوام عادتا الى البيت خائبتان ومتعبتان بعد أن هبط الليل سريعا ، قرابه الحادي عشر نامت زهرة بينما مهرة كانت في عداء مع النوم وإن نامت فأنها ترا كابوساً لتصحوا فزعة

في صباح اليوم التالي كان الجو قائماً ليس شديد البرودة أيضا نهضن باكراً وخرجن ليبحثن كما فعلن في الأيام القليلة اللاحقة دون جدوى

" لقد مر عدة أيام ونحن نبحث عبثاً .." قالت مهرة بينما تجلس على الاريكة وتسدل رأسها للخلف مغمضة العينين فكرت بكل ما حصل معها منذ أن كانت طفلة صغيرة مر كل شيء امام عينيها بسرعة وفجأة لمحت شيئا دققت فيه بعناية رأت الطريق إلى ذلك الكوخ وفي وسط الطريق كان هنالك فيلا مشابهه

" آه.. إنها هي لِمَ لم أفكر بذلك من قبل! " قالت بصوت عالي

" ماذا .. ما لذي فكرت به "

" أظن انني وجدت مكان التقاط الصورة "

" حقا .. اين؟ "

" تقريبا يبعد ساعة عن هنا .. هيا بنا نذهب .."

خرجتا من المنزل استأجرتا سيارة أجرة ولكنهن تفاجئن بالشوارع مزدحمة للغاية طريقهن الذي يحتاج ساعة أحتاج ثلاثة ليصلن

وصلن إلى المكان وهن ينظرن بانبهار كانت الفيلا قديمة الطراز نوعا ما لكنها غاية في الرقي والجمال بالواقع ورائحة الازهار العطرة تفوح من الحديقة "يا لروعة المكان!! " علقت زهرة كانت الصورة في يدها دققت فيها جيدا ثم قالت

" هذا هو المكان بالضبط "

"دعينا ندخل لنستفسر "

دخلتا إلى الحديقة لم يكن هناك أحد تقدمتا أكثر كان هناك إمرأة ممتلئة تجلس قرب المسبح بكل راحة لم يكن يبدو عليها سيدة بل كانت ترتدي كما الخدم توجهتا نحوها

" مرحبا ! " قالت مهرة انتبهت لهن فنهضت راده التحية

" عفوا نريد أن نسألك عن شيء " قالت مهرة

" أجل تفضلي.."

"انظري إلى الصورة هل تعرفيهما؟ " قالت زهرة

نظرت بصعوبة لأنها لم تكن ترتدي نظاراتها لكنها كانت تعرفهما

" أجل أنه السيد فكرت صاحب هذه الفيلا وهذه ابنته..." ثم غروقت عيناها بالدموع بدا عليها الحزن

" وأين هما الآن؟ "

" لقد انتحر السيد فكري منذ أكثر من أسبوع .. وجدوه مرمي من أعلى الهاوية.. اما ابنته فلم تعد تقول أن المكان يذكرها بوالدها لكنها تأتي أيام الأحد أحيانا "

" وكيف تعرفي انه انتحر إلا يمكن أن يكون قد قتل" قالت مهرة

" كلا لأن السيد كان عطوفا الجميع يحبه لم يكن لدية اي اعداء ولكنه كان تعيسا بعد وفاة زوجته.. لماذا تسالان هل انت ما من الشرطة ؟ "

"نعم .. " ردت مهرة

" أريد اسالك آخر سؤال كيف كانت علاقة الأب وابنته "سالت زهرة

" كانت علاقتهما قوية ولكن .. في الفترة الأخيرة صارت الكثير من المشاحنات والمشاجرات ولا أحد يعرف السبب "

" حسنا شكرا لك " قالت زهرة وهي تهم بالمغادرة
عادتا الى البيت مع علامات استفهام أقل لكن المسألة لا زالت معقدة ولكنهما تذكرتا شيئا مهما أنهما لم يسألا عن اسم ابنته

"زهرة ، هل تظنين أن ابنته قتلته حقا "

" هذا ما يبدو ولكن ما السبب القوي الذي يجعلها تقتل أباها.."

" هناك شيء مريب .. لاحظت أن المرأة تحاول إخفاء شيء ما"

" لابد من أن نجد ابنته.."

" أجل.. زهرة آسفة لم اسالك عن نفسك ماذا حصل معك .."

" لا تأسفي.." قالت زهرة ثم تنهدت وأكملت
"عندما وصلت إلى المنزل كنت قد تأخرت ... كان جميع الأقارب مجتمعين هناك وكان .. كان ابي مستلقي فراشة بالكاد يلتقط أنفاسه حينما دخلت غرفته كنت خائفة وضائعة إلى حد ما، نظر الي بعينية المشتعلة بالحنين والحسرات والكثير من الحزن اقتربت منه بخطى ثقيلة مرتجفة لم اجرأ على النطق بحرف واحد لكن دموعي المنهمرة لم تسكت ثانية حاول رفع يده لكنه لم يستطع ثم قال بصوت خافت أولى وآخر كلماته "سا.. سامحيني .. ابنتي " في تلك

اللحظة لم استطع تمالك نفسي انهارت قواي عانقته بشدة وأنا أبكي بحرارة شممت رائحته واحسست بدقات قلبة ثم .. ثم فجأة ارخى نفسة ولم يعد يتنفس "كلا .. كلا أبي.. أبي" صرخت بألم شديد شعرت قلبي يتقطع بسكين حادة شعرت بأن روحي تذوب ابعدني عنه أخواتي بصعوبة كنت بحالة مزرية جداً . بعد إتمام مراسيم الدفن الاخيرة شعرت أن هناك شيء يكتم أنفاسي كنت اجلس على شرفة المنزل وأبكي بصمت عندما جاءت امي كانت هي الأخرى لا تستطيع كبح دموعها المنهمرة .

" هذه رسالة من ابيك .. قال ربما لن اراها اعطها هذا المكتوب" اخذتها ثم غادرت دون المزيد من الكلام ، ترددت في فتح الرسالة ثم أخيرا فتحتها. (ابنتي العزيزة أعرف أن أسفي واعتذاري لا يصلح الماضي ولا يفيدك بشيء لكن إن استطعتِ سامحيني . أردتك إن تعرفي ماذا جرى معي بعد تلك الحادثة اللعينة عندما هربتِ في تلك الليلة كذلك هرب آسر ، بقيت أبحث عنه بلا هوادة ولن أجده وبالصدفة شاءت الأقدار و وجدته اشتط غضباً اخرجت مسدسي الذي كنت احمله معي في الآونة الاخيرة صوبته نحو رأسه حينها قال معترفا مترجياً لم احب ابنتك قط غير إن هناك من دفع لي لكي اخطب ابنتك واتقرب منها ثم أتركها قبيل الزفاف لتشعر بالعار كنت انت المستهدف وليس هي ، وعندما ضغطت علية أكثر أخبرني ان عدوي اللدود مالك هو من بعثة ثم بحركة مباغتة دفعني وهرب غير إن سيارة مسرعة صدمته مات على أثرها ثم ذهبت إلى ذلك اللعين مالك بكل غضبي ناويا على قتله غير اني وجدته جالساً قرب سرير طفلة كانت تنام مربوطة بأجهزة طبية كانت في الثامنة من عمرها سمعتها تقول له بصوت رقيق لقد رحل والداي وتركاني وحيدة مع مرضي ارجوك لا تتركني يا جدي زال غضبي دمعت عيناي حزنت على تلك المسكينة كانت وحيدة ومتألمة جلست خارجا وبقيت محتارا لما يجب علي فعلة

قررت أن أتركه لأجلها نهضت لأذهب فخرج هو نظرت بصمت ثم قلت وانا اهم بالمغادرة كم انت رجل حقير، إذا احزنت تلك الفتاة ستكون نهايتك الحتمية. ورحلت بحثت عنكِ كثيراً لاعتذر لأخبرك كم انا نادم و لم اجدك ساءت حالتي اخبرني الطبيب اني مريض وسأموت بعد فترة قليلة بقيت أبحث عنكِ بالكاد عرفت بأي بلد انتِ ورقم هاتفك من أحد المعارف . الآن وأنا أكتب لك هذا بالكاد استطيع رفع يدي لامساك القلم ولا اضن أنني سأبقى لأراكِ واحبكِ وآسف بكثر ماهناك أسف بالدنيا وداعاً ...

والدك)

كان هناك قطرات دموع على الرسالة آلمتني تلك الرسالة شعرت أن شيئا يعصرني من الداخل بشدة لست قادرة على ايقافه كما لست قادرة على تحمله "

" لا أعرف ماذا أقول حقاً .. ولكنني افهمك جيداً "

" حتى لو لم اكن ارا والدي في السنوات الماضية كنت أعرف أنه بخير وهذا يشعرني بسكينة أما الآن وهو غير موجود أشعر بفراغ كمتشرد ليس له مأوى .. "

ساد الصمت كانت الساعة ١٢:٠٠ منتصف الليل اسدلت زهرة رأسها إلى الاريكة وراحت تتأمل السقف ضغطت على جهاز التحكم بالغلط فاشتغل التلفاز على القناة الإخبارية ظهر تقرير عن جريمة قتل في مكان مهجور قبل أيام توترتا رفعت صوت التلفاز (وجدت جثة لرجل مجهول الهوية أثر إطلاق ناري في مكان مهجور ووجد سلاح الجريمة بجانب الجثة خالي من البصمات هذا ووجدوا آثار كدمات وجروح مما على تعرضه للضرب ، هذه نهاية النشرة كان معكم كنان اكتان .)

" إنه هو هذه صورته! " قالت مهرة

" إنها نشرة معادة .. اهدأي لا تخافي .."

" يالهي ماذا افعل الآن.. مؤكد أن شريكة عرف بمقتلة الآن يبحث عني .."

"ولما انتِ متأكدة هكذا ؟ "

" احساسي هكذا يقول .. "

" إذا خذي هاتفي واتصلي بصديقك الآن الم يعطك رقم هاتفه"

"لكن .. كلا لن اتصل به "

" ليس وقت التفكير بأمور أخرى أنه الوحيد القادر على المساعدة هيا اتصلي "

أخذت الهاتف ترددت كثيرا قبل ان تضع الرقم ثم ترددت أكثر قبل أن تضغط اتصال عندما أجاب توترت تلعثمت لم يفهم منها شيء فأصر أن تعطيه العنوان ليأتِ حالاً وافقت زهرة فأعطته عنوانهن اقفلت الهاتف جلست منحنية على ركبتيها لم تستطع زهرة تهدئتها لأنها كانت خائفة أكثر منها جلست بقربها احاطتها بذراعيها بقيتا هكذا بصمت رهيب حتى طرق الباب أحدهم "لابد أنه وصل .." قالت زهرة ثم اردفت " ابقي هنا انا سأفتح " توجهت نحو الباب ولأنها ظنت أن من تنتظره قدم لم تنظر من فتحة الباب فتحت المفتاح وقبل أن تدير المقبض وإذا برجل يدفعه بقوة " توقف .. ماذا تريد " صرخت زهرة حاولت إعادة قلق الباب فأمسك بها ودفعها بقوة ارتطم رأسها بالجدار وفقدت وعيها كل شيء حدث فجأة لم تقدر مهرة على الهرب ولكنها ما أن رأته حتى وصلت أعلى درجات الذعر أمسكها كانت عينية تقدح شرراً لم تستطع على الصراخ حتى أخرج من جيبة منديل يحتوي على مخدر وضعه على وجهها وهو يقول بحنق "سأنتقم عن كل قطرة دم

لأخي الوحيد " حملها ما اغمي عليها توجه نحو المراب وضعها بالسيارة وتحرك .

وصل شوكت إلى العنوان رأى الباب مفتوحا استغرب "هل تأخرت" قال لنفسة ثم أسرع الى الداخل كان هنالك بعض الأشياء مبعثرة وكانت زهرة فاقدة الوعي أرضا لم يكن يعرفها ندهها لم ترد أحضر كاس ماء وأخذ يرش على وجهها ببطيء بدأت تعود لوعيها رويدا رويدا ما أن افاقت "ماذا حصل هنا " سأل "لقد هاجمنا رجل .. اغمي ولا .. لا أعرف ماذا أصاب مهرة ارجوك انجدها ارجوك "

وأخذت تبكي بشدة خرج مسرعا نحو سيارته اخرج حاسوبه المحمول دخل على كاميرات المراقبة لهذه البناية فقد كان خبيراً بالاختراق والقرصنة رأى الرجل وهو يحمل مهرة ويضعها بسيارته رأى شكله وسيارته و بأي اتجاه ذهب تحرك مسرعا بنفس الاتجاه بأقصى سرعة ممكنه كان القمر مكتملاً ينير تلك الليلة المظلمة ظل يمشي بنفس الاتجاه حتى وصل تقاطع طريقين الأول يذهب نحو المدينة و الآخر نحو الغابة فذهب في الثاني ظل يتقدم ويتقدم الخوف والأوهام في رأسه كان قلقاً على مهرة حد الموت " يالهي ساعدني .. ارجوك ساعدني أن أصل بالوقت المناسب " قال لنفسة بعد أن بدأ العالم يسود في عينيه.

وصل إلى نصف الغابة فرأى تلك السيارة فارغة توقف وتوجه نحوها كالمجنون كانت أبوابها مفتوحة وليس هنالك أحد دقق النظر شاهد آثار اقدام فتبعها مستعجلاً ثم سمع بعض الأصوات تقدم أكثر نظر من بين الاشجار كان هنالك مساحة خالية من الشجيرات مع بحيرة واسعة تتلألئ تحت ضوء القمر وكانت مهرة مقيدة أرضا بينما كان القاتل يتكلم على الهاتف ويحمل في يده بعض البنزين أقترب شوكت ببطيء في ظلام الأشجار

"أسمع .. لقد خسرت أخي بسببك انت.. دخلت بيننا وارسلته لقتل الفتاة بمفردة تعرف جيداً أننا لا نعمل منفردين..." قال القاتل متحدثا في الهاتف بغضب صمت قليلا ثم أكمل

"الفتاة معي الآن.. سأتخلص منها انتقاما لأخي ليس لأجلك لكن .. يجب أن تدفع مبلغا جيدا بكل الاحوال .. و إلا يجب أن تخاف على نفسك فهمت .. يا باريش "

كانت مهرة تستمع له وتذكرت أن ذلك المحقق كان اسمه باريش توضحت لها الصورة وعرفت أنها ذهبت للمدبر الرئيسي لتشتكي له . أغفل الهاتف وأخذ يتفحصها بعينيه شعرت برعب شديد من نظراته الحادة يأست كانت متأكدة إنها لن تنجو هذه المرة "لن ينقذني أحد هذه المرة .." قالت لنفسها وقد كادت نبضات قلبها تتوقف من شدة الخوف ثم قال مكلماً إياها مما زادها ذعراً

"كيف تريدن أن تموتي.. هل تفضلين الماء أم النار " ثم راح يضحك كمن قال نكته وأخذ يسكب البنزين حولها بشكل دائرة أخرج من جيبة ولاعته رفع يده مستوى وجهه ولعها في الهواء هاجمة شوكت سقطت الولاعة واشتعلت النار دار بينهما قتال دامي فلم تكن تلك معركة عادية كانت حرباً بين رجلين إحداهما تجرد من قلبة ليس لدية ما يهابه والآخر تجمعت كل المشاعر السامية في قلبة لدية من يعيش لأجل إسعاده أنه كحرب بين الأسود و الأبيض كانت مهرة تكاد تحترق لولا هطول الأمطار أطفأت النيران أستمر قتلهما حتى صار القاتل بحالة يرثى لها وجه شوكت اللكمة القاضية له مما اوقعه ارضاً فتركة وتوجه نحو مهرة وهو يقول

"لا تخافي انا هنا .. لن أدع اي شيء يصيبك " فك لها الحبل المربوط حول قدميها ، نهض المجرم دون أن ينتبهوا له توجه نحو حقيبته أخرج سلاحه ثم صرخ " انت .. استدر نحوي " نهض شوكت ما أن التف حتى شعر بشيء حار يخترق جسده ثم سمع

صوتا قويا دارت به الدنيا لوهلة تحسس بطنه كانت كينبوع دماءً ساخنة سقط أرضا بدأ يتنفس بصعوبة

"الآن سأدعك تتمتع برؤيتها تموت .. انظر جيدا ايها الحقير" قال وهو يتوجه نحوها كان يمشي بصعوبة حملها تقدم خطوتين ثم رماها في البحيرة ركز النظر عليها وهي تسقط بالماء بعينين تقطران سما ثم أخذ شعر براحة حمل حقيبته السوداء ورحل دون أن يلتفت خلفة .

كانت مهرة تحرك قدميها بسرعة تحاول دفع نفسها إلى الأعلى بلا فائدة سرعان ما استسلمت أرخت اطرافها اغمضت عينيها بدأ الماء يدخل رئتيها.

وفجأة انتفض شوكت مستجمعا كل قواه المتبقية توجه نحو البحيرة بخطى ثقيلة ثم قفز تغلغل في المياه عميقا أمسك بيدها أخرجها كانت ساكنه بلا حراك بلا نفس تنام تحت المطر وضوء القمر أقترب منها ضغط على صدرها واعطاها قبلة الحياة ، استعادت وعيها أخرجت بعض المياه من فمها وهي تسعل .

رما شوكت بجسده المثقل أرضا وكأن حملا انزاح عنه راح ينظر إلى السماء وقطرات المطر الخفيفة تنهمر على وجهه كان يرى صورة أكثر شخص احبة امام عينية ،

"شوكت .. شوكت تحمل ارجوك .. الآن س.. سأطلب المساعدة "

قالت وهي تمسك به وتجهش بالبكاء صرخت طالبة النجدة دون جدوى نهضت فأمسك يدها " لا .. لا تذهبي" قال بصوت خافت متألم وأردف " اسمعيني.. " اقتربت منه مرتجفة خائفة علية

" كنت خاوي الوفاضِ

متجرداً من ذاتي كروح تائه بلا موطنِ

حتى.. حتى مُثلتِ أمامي

كفراشة مزخرفة بكل ألوان الربيع

سلبتِ مني عقلي وقلبي

وكل آهاتي و أناتي

صرتي أفراحي و أحزاني

فكم ابحرتُ في عينيكِ

وكم قصت في أعماق المحيطاتِ

وكم حاربت من العواصف الركامِ

فقط لأجلك.. لأجل مقلتيكِ

ولا أريد سوى لحظات

ألامس فيها عبق أنفاسك

أذوب فيها بسحر نظراتكِ

هيا أبتسمِ لي ،،

فهذا وداعنا أبتسمِ لي

ودعيني أرحل "

ما إن قال آخر كلماته بهمس حتى اغمض عينية أرخى يده حتى سقطت أرضا صرخت مهرة تناجيه تساله أن يفتح عينية أن ينطق ولو كلمة عبثاً فزعت ازداد ارتجافها هرعت تطلب المساعدة لم يكن هنالك اي احد كانت في حال انفعال شديد وجدت سيارة شوكت على الطريق وجدت بها هاتفته اتصلت على الإسعاف بصعوبة استطاعت أن تدلهم على المكان .

عادت بسرعة جلست جانبه رفعته قليلا من على الأرض وعانقته بقوة وهي تردد " لا تخف لن يصيبك شيئا .. ستشفى .."

ظل المطر يتناثر بشكل خفيف وظلت هي معانقته وتبكي بهستيرية حتى وصلت الإسعاف كانت هي فاقدة الوعي

فتحت عينيها وهي تنظر إلى السقف وكأنها فاقدة الذاكرة كان هنالك شخص يجلس بجانبها وياديها لم ترد كانت في حالة سكون مطلق وفجأة رأت كل ما حصل منذ ساعات امام عينيها نهضت منتفضة تصرخ شوكت كانت في غرفة بالمشفى وكانت زهرة بجانبها أمسكت بها ،

"أين شوكت.. اخبريني كيف هو ؟ " قالت مهرة بانفعال كبير

"اهدأي الآن.. انت لست بخير " ردت زهرة

ابعدت زهرة وخرجت تبحث عن شوكت سالت الاستعلامات أخبرتها الممرضة أنه لا زال بالعملية ثم خرجت ممرضة تركض قالت إن يحتاج لدم زمرة O+ صرخت مهرة

"هذه مطابقة لزمرتي خذو مني "

"لكنك لست بخير " قالت زهرة

"كلا انا بخير .. هيا بنا استعجلي" قالت ثم ذهبت مع الممرضة دعتها تستلقي على السرير أخذت الدماء منها وذهبت مسرعة بقت مهرة مستلقية لبعض الوقت لم تستطع أن تنهض بسبب شعورها بالدوار بعد حوالي الربع ساعة انتهت عمليته نهضت تمشي محاذات الجدار ممسكة بزهرة كانت عيناها غارقتان بالدموع وصلت إلى الطبيب الذي اجرى العملية

"ارجوك .. ارجوك لا تقل أنه توفى .." قالت ثم اكملت
" قل أنه بخير .. هيا تكلم "
" المريض خسر الكثير من الدماء وهناك تمزق ببعض الأغشية وقمنا بإزالة الطحال بسبب تمزقه كما هنالك احتمال بحدوث نزيف داخلي .. لذا الأربع والعشرين ساعة القادمة هي الأكثر حساسية "

" وهل هناك أمل بالشفاء.. " سالت زهرة
" الأمل بالله كبير سيكون بخير إن شاء الله " قال الطبيب ثم غادر

جلست مهرة على الكرسي شعرت بأنها محطمة كما لم تكن من قبل أغمضت عينيها وراحت تدعي له من اعماق قلبها عانقتها زهرة بلطف حاولت مواساتها

"كفى يا أختي.. ارجوك لا تبكي أكثر جفت عيناك "

"ماذا فعلت لاستحق كل هذا .. اخبريني "

"إنه القدر ليس بيدك شيء لتفعليه .. تعالي نذهب إلى البيت ارتاحي قليلاً انت متعبة "

"وهل تضنين أنني قادرة أن ارتاح ؟ .. خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة انا سأضع حداً لكل شيء "

"ماذا ستفعلين وأنت بهذه الحالة .. اتركي كل شيء "

" وهل هم سيتركونني.. لا دخل لك اتركيني وشأني "

"هل حقاً ما تقولين اتركك وشانك؟ " قالت زهرة باستغراب

نظرتا في عيني بعضهما بأسى وصمت مريب ثم نهضت مهرة اقتربت من غرفة شوكت نظرت له عبر الزجاج ،، ثم رحلت مسرعة لحقت بها زهرة وقفت على الطريق تنتظر سيارة أجرة

"لما لحقتِ بي .. هيا أذهبي "

"أنت الآن لست بكامل وعيك .. ولن اتركك بمفردك فهمتي"

وقفت سيارة ركبتا اعطته مهرة عنوان مكان حادث الأمس
" ما بكِ .. ماذا ستفعلين هناك؟ " قالت زهرة بغضب
" أن كنت لا تريدين المجيء فلا تأتِ "

بعد أن وصلتا ذهبت مهرة نحو سيارة شوكت التي لا تزال مركونة هناك " هيا اركبي.. الم تقولي انك تعرفين القيادة" قالت مهرة " لمن هذه السيارة .. أين تريدين الذهاب "

"إنها سيارة شوكت .. سنذهب إلى تلك الفيلا حسنا هيا بنا الآن " ركبتا وانطلقتا في الامام كان هناك دفتر ذو غلاف جلدي أخذته قلبت الصفحات كان هناك الكثير من القصائد الجميلة ولكن هنالك واحدة مميزة لأنه كتب تحتها اسم مهرة بخط صغير ارتبكت رغم شعورها المسبق بإحساسه تجاهها شعرت بقشعريرة وهي تقرأه " لابد من أنه شاعر فريد .. " قالت لنفسها

[لماذا أرى هذا الأسى
في مقلتيها ،،
لماذا أرى هذا الشجى
في شفتيها ،،
وما هذا التوجسِ في ناظريها
ما هذهِ الأسوار العاليات
بلا فتحات .. بلا أبواب حوليها ،،،
كأنها غيمة صيفية ابداً
لن تعرف ما فيها ...
بعيدةً هي كبعد الشمس من أرضها
قريبةً هي كقرب الروح من جسمها
وحيدة هي كزهرةٍ في أقصى صحرائها
ليتني أستطيع البوح عما بقلبي لها
ليتني أستطيع بين ثنايا الروح وضعها
هي علَّتي و بلسمي
هي مائي و ناري
كالبراعم تنمو تكبر داخلي
آه .. آه ما هذا الشعور الأزلي

لما هذه الانتفاضة في جوفي
كلما سمعت اسمها ....]

احست بقصة بعد ان اكملت قراءتها كادت الدموع تسقط من عينها إلا أنها تمالكت نفسها ظلت تقلب الصفحات وتقرأهن واحده والاخرى تقوص في السطور حتى وصلتا كانت قد قرأت كامل الدفتر.

" ما بكِ .. ماذا يحتوي الدفتر ؟ " قالت زهرة بعد أن لاحظت انفعالها لم تجب اعادت الدفتر إلى مكانه حاولت إخفاء جماح قلبها

" لا شيء.. "

كان المكان خالياً الأبواب مغلقة والازهار فقدت بريقها وأخرى ذبلت كان يبدو أنه مهجور فتشتا في الإرجاء لم يكن هنالك اي احد " يبدو أن لا أحد يأتي هنا من مده " قالت زهرة وهي تعاين الفيلا " هذا صحيح ..لنبعد السيارة قليلا ونراقب من هناك ربما يأتِ أحدهم" ردت مهرة

بقيتا تجلسان في السيارة وترقبان عن بعد دون فائدة مرت ساعات والوضع كما هو سئمتا وقررتا الرحيل حين قدمت سيارة سوداء نوع BMW نزلت منها إمرأة فاتنه ذات شعر ناري ترتدي ملابس ضيقة ثم نزل رجل لم يكن مجهولاً بل كان هو المحقق باريش " إنه رئيس اللعبة ..." قالت مهرة باستهزاء لم يغلق السيارة بل تركها مفتوحة وذهب معانقا الجميلة إلى الداخل كان يبدو أن كلاهما منتشيان بعد دخولهما تركا باب الفيلا مفتوحاً أيضا فكرت مهرة أن تذهب لتفتيش السيارة راحت ببطيء تمشي فتحت الباب فتشت على مهل كانت المرأة قد نست حقيبتها فتحتها كان بها هاتفها وبعض الكارتات هويتها واحمر شفاه كان اسمها جوليا تبلغ من العمر ٣١ وهي عزباء اعادت كل شيء لمكانه وسحبت نفسها

بخفة . ظلت تنتظر مع زهرة خارجاً وبعد ما يقارب ساعتان خرج باريش أعاد لها حقيبتها ورحل بسيارته، خرجت هي بعده بنصف ساعة.

خرجت جوليا عند الساعة ٢:١٥ ضهراً كانت قد غيرت ملابسها وقفت بضع ثوانٍ قبل أن تأت سيارة أجرة لأخذها كانت تبدو أفضل حالا صحت من نشوتها .

لحقنها خفية حتى وصلت إلى بناية حديثة غاية في الرقي والجمال نزلت ودخلت متثاقلة في مشيتها
" الآن كيف سنعرف أنها تعيش هنا ؟ " قالت زهرة
" لا تقلقي انا سأعرف.. "
" وكيف ذلك ؟ "

" انتظري.. سأعود حالاً "

ذهبت إلى بواب البناية وقالت

"عفواً .. المرأة التي دخلت الآن في اي شقة تقنط لقد نسيت هاتفها معي .. " واشارت إلى الهاتف بيدها (هاتف زهرة)

"أعطني إياه.. انا اوصله لها "

"كلا أن لم أعطه لها بنفسي لن اعطيه لأحد.. "

" يالهي رأسي يؤلمني جداً .. شقة رقم خمس عشر "

" شكرا.."

دخلت بثقة صعدت عبر السلالم كانت الشقة في الطابق الرابع ومع هذا لم تستخدم المصعد لأنها تعني من فوبيا الاماكن الضيقة
وصلت إلى الشقة خمس عشر عاينتها جيداً نظرت يمينا شمالا ثم عادت ادراجها.

وصلتا المنزل وكانت طول الطريق مهرة صامته كانت تبدو غريبة الاطوار حتى زهرت لاحظت ذلك جيدا وكانت معظم الوقت شاردة الذهن كانت زهرة تشعر بالقلق عليها .

" مهرة .. أعرف أن ما عايشته صعب جدا ولكن.. أعرف أنك فتاة قوية وستتخطين ذلك.. "

" ربما .. " أجابت بلا مبالاة

"أنا معك دوما .. لا تنسي ذلك"

ابتسمت لها ابتسامه حزينة خاليه من الحياة

" بماذا تفكرين الآن؟ "

" لا تقلقي انا ساحل كل شيء وربما .."

" ربما ماذا؟ "

" سأغادر أحتاج لأن ابتعد عن كل شيء "

وماذا عني ؟ .. لن اسمح لك بالمغادرة وأن كان لابد من ذلك فسآتي معك .."

اومأت مهرة برأسها احتراما وتقديرا لها ثم تعانقتا عناقاً طويلاً

" انتِ حقا انت مثالية .. أحبكِ " قالت مهرة بعذوبه

" وأنا أحبكِ "

نظراً لانهما لم تناما ليله البارحة وبالأخص زهرة اقترحت زهرة أن تناما ساعتين او ثلاثة ثم تعودان للمشفى وافقتها مهرة بعد ذهاب زهرة للنوم كانت مهرة تقف على الشرفة كان الجو هادئا وجميلا عند العصر كما كان دافئا ، ذهبت إلى الحمام وقفت أمام المرآه تتأمل نفسها كيف كانت قبل شهور وكيف بدت الآن ظلت تقف بسكون مدة من الزمن ثم رفعت المقص وراحت تقص شعرها الليلي الطويل إلى مقدار النصف تقريباً .

ثم استحمت ارتدت ملابسها جففت شعرها وربطته على شكل كعكه في الأعلى أخذت حقيبتها وضعت اشيائها المهمة و نقودها التي جمعتها خلال هذه الفترة ، لم تكن بالشيء الكثير ثم غادرت بهدوء دون وداع زهرة دون أن تترك لها اي ملاحظة كانت الساعة ٦:٢٠ الشمس بدأت تقرب مشت في الشوارع جلست قليلاً في الحديقة تأملت الأعشاب الأشجار والأطفال يركضون و يلعبون والسماء الزرقاء أخذت نفسا عميقا كان الهواء منعش كان هناك ازهار قرب كرسيها كان عبيرها ينتشر دون الحاجة إلى الاقتراب منها .

نهضت ذهبت إلى أقرب محل لبيع العاب الاطفال اشترت مسدسا مع كاتم صوت كان يبدو من الخارج حقيقيا جدا لن يشك أحد للحظة أنه مجرد لعبة.

كان يجب عليها أن تحافظ على قواها الجسدية لذا ذهبت واكلت بعض الأشياء رغم أنها لم تكن ترغب بعد أن انهت وجبتها استأجرت سيارة أجرة ذهبت إلى المشفى شعرت بالأسى أن لا شيء تغير بأحواله اعتذرت منه بألم وحزن ثم غادرت مسرعة إلى مكان سكن جوليا .

كانت الساعة ٨:٠٠ تسللت إلى غرفة البواب دون أن ينتبه أخذت المفتاح الاحتياطي الشقة خمس عشر، بعدها توجهت نحو الشقة طرقت الجرس واختبأت ثم عاودت طرقة إلى أن تأكدت أنها ليست بالداخل ، استخدمت المفتاح ودخلت تجولت فيها ثم فتشت في غرفة النوم وجدت كيسا يحتوي على بعض الحبوب البيضاء قرب سريرها كما وجدت مثلها في الخزانة ووجدت اكياس اخرى تحتوي على مسحوق أبيض والكثير من المشروبات الكحولية في أرجاء المنزل الويسكي، الفودكا، النبيذ ، جن

كانت ترتدي قفازات كي لا تطبع بصماتها على اي شيء انتظرت مجيء جوليا مرت الساعات

عند الساعة ١٢:١٠ سمعت صوت المفاتيح بالباب عرفت انها وصلت نظرت حولها باحثة عن اي شيء صلب وقع نظرها على مزهرية نحاسية قديمة حملتها وفور دخول جوليا ضربتها بقوة على رأسها اغمي عليها سحبتها إلى الداخل اغفلت الباب جيداً سحبتها من قدميها إلى غرفة النوم رفعتها وضعتها على الكرسي كانت تفوح منها رائحة الكحول بشكل جنوني بحثت عن حبل لم تجد فأخرجت بعض الملابس وربطتها بأحكام تام ثم وجدت شريط لاصق قامت بلصقة على فمها .

وجلست تنتظرها تستفيق فكرت إن ربما لم ترى وجهها قبلاً فقررت أن تضع وشاحاً على وجهها بعد ساعة تقريبا بدأت تصحوا ذهبت مهرة إلى المطبخ احضرت كاس ماء بارد ورشقته على وجه جوليا مما ساعد أن تصحوا بشكل أفضل أخرجت المسدس وجهته نحوها وجلست امامها بعينين ثابتتين يتخللهما الغضب

" انظري الي الآن.. ستفعلين ما أقوله إلا .. سأقوم بإفراغ هذا المسدس برأسك النتن " زمجرت عليها بغضب ثم اكملت

" اسمعيني جيدا .. ستشرحين كل شيء بالتفصيل مع التواريخ والاماكن.. لما قتلت اباك وستذكرين شريكك وإلا ...سأرسلك إلى اباك أيتها الحقيرة "

كانت نبرتها جادة جدا وقاسية بنفس الوقت مما أخاف جوليا بدت مرتبكة جدا، خرجت إلى غرفة الجلوس حيث جوليا أوقعت حقيبتها أخرجت الهاتف وعادت

" انتبهي لي .. سأزيل الشريط عن فمك لا أريد اي صراخ سأصورك وانت تتكلمين.. صدقيني لن يلحق أحد لمساعدتك لأنني سأفجر رأسك مباشرةً ..مفهوم .." صرخت مهرة في وجهها

اومأت برأسها إيجابا احضرت المشط رتبت شعرها ثم احضرت منشفة ومسحت وجهها جيداً لتبدو طبيعية في الفيديو أزالت الشريط جلست قبالتها وجهت عليها المسدس فتحت الكاميرا

" الآن تكلمي سأضغط على زر البدا "

" من انت لما تهتمين بهذا الموضوع "

" هذا لا يعنيك.. تكلمي ولا تضيعي وقتي " صرخت مهرة بعصبيه

" هل ستصورين بهاتفي!! "

" هل تلعبين معي .. ليس لدي ما اخسره سوى رصاصة في رأسك المتعفن.. آخر مرة اقولها هيا تكلمي " قالت بعنف كما يفعل المجرمون قفزت نحوها بالمسدس ضربتها على راسها ، عادت وجلست امامها ضغطت على زر البدأ كانت الصورة في الفيديو تبدو طبيعية للغاية وكأنها صحت من النوم وقررت الاعتراف من تلقاء نفسها .

" أنا.. انا أسمي جوليا كل شيء بدأ عندما وجدت رساله مخبئة بين الأغراض القديمة كانت من امي إلى حبيبها والتي تخبره بها إنها حامل منه .. جن جنوني بمعرفه أن من اناديه أبي كل هذه الأعوام لم يكن أبي .. مع هذا صمتت لأن امي متوفية وليس لدي سوى أبي فكرت لكن سرعان انجررت وصرت مدمنه على الكحول ثم صرت اتاجر بالمخدرات مع صديقي باريش المحقق في مركز شرطة حيث تطورت علاقتنا فيما بعد.. ثم في يوم كنت منتشيه جدا لم اكن بوعيي عندما صادفت أبي واخبرته كل شيء أنه ليس أبي وانني .. انني تاجرة مخدرات ومدمنه أيضا شب بيننا شجار لا أذكر منه شيئا وعندما استفقت وعدت لوعيي تشاجرنا مرة أخرى و توالت المشاحنات بيننا ثم فجأة قرر أن يتبرع بجميع ممتلكاته إلى للجمعيات الخيرية ودور الايتام جن جنوني لم اعرف ماذا افعل ، فأقترح علي باريش أن نقتله قبل يفعل ذلك وتذهب كل هذه الثروة

سداً ... استأجر قاتلين مشهورين وكانا ينتظراننا في منطقة سلطان أيوب بأحد الفروع قرب تقاطع توبتشولار، بتاريخ ٢٠١١/١/٦ حيث احضرنا أبي معنا انا وباريش اخبرناه أننا ندعوه لتناول الطعام فجاء معنا وتم قتله هناك طعناً بالسكين غير أن هنالك فتاة رأت ذلك فاضطررنا لقتلها غير إنها قتلت المجرم فقتلها الآخر مع صديقها الذي كان يحميها انتقاماً لأخيه ... " ثم صمتت أوقفت مهرة الفيديو وقالت لها

" لما صمتي هيا اكملي .. ماذا فعلت بالجثة؟ " صرخت عليها توترت ونزلت من عينيها بعض الدموع

" نظفوا المكان ورموا الجثة من أعلى الهاوية .. مع سيارته ليظهر أنه انتحر وهكذا فكر الشرطة ..لكنني .. لكنني نادمة على فعلي ذلك نادمة جدا وخاصتا بعد أن عرفت انه كان مريض بالسرطان " لم تتمالك نفسها وراحت تبكي بحسرة لم تشأ مهرة أن تتعاطف معها اعادت لصق فمها بالشريط تركتها وذهبت إلى غرفة الجلوس جلست قليلاً بصمت ثم عادت وضربتها على رأسها اغمي عليها فكت وثائقها وضعتها على السرير اعادت الأشياء إلى أماكنها ثم نشرت الفيديو على الانترنت وارسلته إلى مركز الشرطة الذي حقق في انتحار فكرت كما ارسلته إلى مراكز أخرى تركت هاتفها بجانبها وغادرت اعادت المفتاح إلى مكانه وخرجت الى الطريق كان وقت الفجر لكن الظلام لازال يتخالط شعرت برغبة ملحة أن تبقى وحدها شعرت بأشياء غريبة ذهبت تمشي تحت أضواء الشوارع كانت المدينة نائمة ظلت تتجول ثم دخلت إلى حديقة مضيئة استلقت على الكرسي وأخذت تتأمل السماء تدعو من أعماقها أن يشفى ، فكرت أن تختفي عن هنا وترحل بعيداً باحثة عن ميناء سلام هو ما كانت تبحث عنه عند قدومها هنا لكنها لم تجده .. بقت مستلقية رغم برودة الجو حتى رحل الليل وأشرقت

الشمس بنورها قررت أن تذهب إلى المشفى لترى شوكت لآخر مرة من بعيد وربما تودع زهرة أيضا.

عند وصولها إلى المشفى كان الجميع يتحادثون بآخر الأخبار نظرت إلى الشاشة في الردهة كان الصحفيون قد صوروا اعتقال الثرية جوليا من شقتها صباح هذا اليوم كما ونشروا في الأخبار العاجلة ذلك الفيديو شعرت مهرة بارتياح أن الأمور سويت الآن.

وإذا بشخص يضع يده على كتفها استدارت كانت زهرة

" أنا.. انا ..." تمتمت مهرة قبل أن تحيطها زهرة بذراعيها وهي تقول " لقد خفت عليك .. لو انكِ اعلمتني على الأقل.."

" لم أكن أريد أن تتأذي "

" لقد أفاق شوكت .. وحالته الآن مستقرة "

" حقاً .. " قالت بشيء من الفرح

ذهبت نحو غرفته اقتربت وقبل أن تطرق الباب سمعت شخصا يتحدث العربية فتحت الباب دون أن تستأذن كان هو يتحدث على الهاتف باللغة العربية صعقت لم تكن تتوقع نهائياً أن يكون عربياً وقفت دقائق متسمرة بمكانها نظر إليها باستغراب

" لمَ لم تخبرني قبلاً إنك عربي؟ " قالت بالعربية مع دهشة كبيرة

" انتِ أيضا لم تخبريني إنك عربية ؟ "

" أنا حقا مصعوقة .. لم اتوقع ذلك إطلاقا!! "

عم صمت مطبق في الغرفة ظل كل منهما ينظر الآخر ثم كسر الصمت وقال

" لم تسألي عن احوالي.. وكأنني لم أتخطى المطر قبل قليل .. هل الأمر لا يهمك إلى هذه الدرجة! "

" كلا .. كلا بالطبع يهمني ولكني .. كيف انت الآن ؟ "

" بخير دامك بخير "

" اشكرك كثيرا .. انا مدينه لك بحياتي"

"لستِ مدينه لي بشيء " قال ثم راح ينظر الى السقف عاد الصمت مرة أخرى ظلت تتأمله وهو في اتم سكونه ثم بدا متضايقا لم يكن مرتاحاً من الوسادة حاول أن يرفعها قليلا لكنه لم يستطع تقدمت مهرة نحوه رفعتها له بالشكل الذي جعله مرتاحا ، التقت عيناهما وهم في قمة السكون كانا قريبين من بعضهما بحيث يشعر كل منهما بأنفاس الآخر خلال هذه اللحظات القليلة تفجرت الكثير من ينابيع المشاعر الخامدة، كما واشتعلت جمرة الوله و

وقبل أن يقتربا من بعضهما أكثر وتفيض البراكين الخاملة دخلت الممرضة ابتعدت عنه بارتباك وخجل شديد كانت كمن كان يحلم ويحلق بين الفراشات ثم صحى فجأة على واقع مختلف ،، سألته الممرضة عن حاله وإن كان يعاني من الم ما اخبرها أنه يشعر بنفسة أفضل من ذي قبل وهو ينظر إلى مهرة نظرت لها الممرضة أيضا وابتسمت مما زاد في خجلها ثم اعطته الدواء و خرجت بقيا بمفردهما من جديد

"يجب أن اذهب الآن.. اتمنى لك الشفاء العاجل " وقالت وهي متوجه نحو الباب

"ابقي قليلا بعد..." قال بنبرة رجاء

أحست برغبة ملحة للابتعاد عنه لأنها ان بقت اكثر لن تستطيع المغادرة في اي وقت لاحق لكنها كانت تشعر بالامتنان الشديد له لأنه في كل مرة تعرضت للخطر كان هناك لينجدها ، شعرت أنها مديونه له لذا لم ترفض طلبة وبقت جلست على الكرسي بهدوء ثم طُرِق الباب ثم فُتح كانت زهرة ارتاحت مهرة لأن زهرة معها ولن تضطر لأن تبقى بمفردها معه ليس لأنها لا تثق به بل لأنها تخاف من بروز ذلك الشعور الذي تتجاهله ولا تريد الاعتراف به مطلقا

“كيف حالك الآن يا سيد " قالت زهرة بالتركية لم تعرف بعد أنه عربي ،،

“بحال أفضل.. الحمد لله " قال بالعربية

“آه. تعرف العربية جيد .. لم نتعرف بعد انا زهرة " قالت ومدت يدها لتصافحه

“أنا شوكت تشرفت بك " وقال وهو يصافحها

“لي الشرف .." قالت ثم جلست بجانب مهرة صمتت قليلا وأكملت

“شكرا جزيلا لكل ما فعلته لأجل مهرة "

“لا تقولي ذلك الشكر لله.."

“لقد استعملنا سيارتك دون اذنك ..نرجو المعذرة"

“لا بأس ... لا تذهبن إلى بيتكن ما زلتن في خطر "

“كلا لقد كُشف كل شيء للعلن واعتقلتهم الشرطة لا تقلق "

"مع هذا كن حذرات لو تذهبن إلى بيت الشاطئ يكون أفضل "

“لا يوجد داعي .." قالت مهرة بعنفوان ثم اردفت وهي تهم بالمغادرة

“إذا لندعك ترتاح الآن.. نعاود زيارتك فيما بعد "

“اتمنى لك الشفاء العاجل.." قالت زهرة

ثم غادرتا كلتاهما كانت مهرة تريد المغادرة بهذا اليوم لكن صوتا داخليا منعها حثها على العذول او حتى البقاء بضع ايام أخر .

بعد عودتهما دار شجار صغير بينهما بسبب غياب مهرة الليلة الماضية دون تعلمها واخذها لاشيائها معها كانت مهرة مستسلمة لغضب زهرة لأنها مدى حب زهرة لها كانت اختها الكبرى التي لم تلدها أمها..

لم يدم الشجار ولا العصبية كثيرا فقد كان أشبه بعتاب قاسي سرعان ما تصالحتا وعادت المياه إلى مجاريها عند العصر جلست مهرة على الشرفة مع قهوتها السادة تناست عن كل ما حصل معها

لم تستطع التفكير بشيء سوى ذلك الشعور المجهول الذي داهمها على حين غرة حاولت تجاهله حاولت تناسيه ولكنه بكل مرة كان ينظر لها بعينية اللوزيتين كان يهاجمها بقوة أكبر ولم يقف على ذلك بل صارت تشعر به كل الأوقات بقدر ما كان جميلا كان سيئا بقدر ما كان مريحا كان مزعجا

"يالهي ما هذا الشعور المحير " قالت لنفسها ولكنها لم تنتبه إنها تكلمت بصوت عالي سمعتها زهرة

"عن اي شعور تتحدثين؟ "

توترت احست بتشنجات في بطنها

"لا أتحدث عن شيء .. سمعتي بشكل خاطئ ربما"

"كلا سمعت جيداً .. هل تحبينه؟ "

"حب؟؟ لا تهذي لا يوجد شيء كهذا" تدفقت الدماء إلى وجهها من صار احمر كالطماطم تملصت من الحديث وهربت منها بصعوبة

في الصباح بعد إن فطرتا ذهبتا لزيارة شوكت في المستشفى كن يشعرن أنه واجب عليهن زيارته ورعايته إذا استدعى الأمر، عندما وصلن إلى غرفته كان واقفا متكئ على حافة السرير كان مرتديا ملابسة تفاجئن لرؤيته كان من المفروض أن يكون نائما

"ماذا حصل لما انت واقف هكذا؟ ولم ارتديت ملابسك؟ " قالت مهرة

"سأخرج من المستشفى اليوم .."

"ماذا لكنك لم تشفى بعد .." قالت زهرة

"لا يمكن أن تخرج .." قالت مهرة

"سأرتاح أكثر في منزلي .. ثم انني أكره المستشفيات "

"وكيف ستتدبر امورك وانت بالكاد تقف .. " قالت زهرة

"سأتدبرها بطريقه ما "

"حسنا .. أذهب إلى بيت عائلتك " قالت مهرة

"عائلتي مسافرة .."

"أليس عندك اقارب أخر.. اصدقاء .."

"كلا ليس لدي أحد هنا .. "

عم الصمت في المكان اشاح ببصره نحو النافذة كان ينتظر الدكتور ليعطيه أذن الخروج بينما نظرتا مهرة وزهرة لبعضهما البعض تهامستا بالإشارة ابتعدن قليلا وقررن أن يأخذنه معهن للمنزل إذا أراد لأن حالته لا تسمح أن يكون بمفردة بتاتا .

بعد بضع دقائق جاء الدكتور فحصة بشكل روتيني سريع ثم اعطاه اذن الخروج بعد الكثير من النصائح والارشادات وغادر بعدها

" لا يجب أن تبقى بمفردك.. تعال معنا إلى البيت " قالت زهرة

"ليس من اللائق أن اذهب لبيت يسكن فيه فتاتين وحيدتين "

" وليس من اللائق أن تتركك الفتاتين بهذه الحالة بعد كل ما فعلت لأجلهن.. "

" لن نتركك بحالتك هذه وحدك.. " قالت مهرة

" كلا ارجوكن لا تصررن سأذهب إلى بيتي .. شكرا لكُنْ .."

صمت قليلا ثم أكمل

" إن كنتن تردن مساعدتي اوصلنني إلى المنزل فحسب.."

" بالتأكيد.." قالت زهرة ثم اكملت موجهه كلامها إلى مهرة

"ساعدي السيد وانتظروني في السيارة .. سأكمل إجراءات الخروج والتحق بكم .."

ثم خرجت لتتركهما وحدهما ، تحاشت مهرة النظر في عينية وتحاشت الحديث معه دار بعض الصمت المريب ثم قالت

" هيا .. هيا بنا نذهب " بنبرة واطئة

" حسنا .." قال مشى خطوتين ثم كاد أن يقع اتكأ على حافة السرير تقدمت نحوه بارتباك وهي تقول بصوت خفيف

"دعني.. أساعدك.. "

اقتربت منه استند عليها وضع ذراعه على كتفها ثم اقتربا أكثر وكأنهما توأم سيامي احسوا بنبضات بعض احسوا بأنفاس بعض

وراحوا يمشون ببطيء وبنفس خطى الأقدام شعرت برهبه مفاجئة وشعرت بدمائها تتدفق بقوة داخلها كما واحست بحرارة كبيرة حتى تعرفت بشكل مباغت رغم أن الجو كان ربيعيا تتخلله بعض النسمات الباردة .

صار الطريق طويلا جدا إلى السيارة مع كل اضطرابها حاولت إخفاء كل شيء داخلها وأن لا تظهر له ذلك التوتر اللعين لم تعرف ماذا يصيبها عندما تقترب منه كانت تجهل سبب كل هذا الهيجان الذي يعتريها مباغته...

" يالهي متى ينتهي هذا الطريق المديد ؟؟ " قالت محدثه نفسها

" هل الطريق طويل لهذه الدرجة ؟ " قال لها

صعقت وتزعزعت افكارها ظننا منها أنه سمعها تركته وابتعدت عنه قليلاً اتكأ على الحائط وراح ينظر لها بدهشة بعد أن لاحظ انتفاضها المفاجئ وابتعادها عنه .

" ما بكِ .." قال بحيرة

" لا شيء .. لا شيء.. انا فقط .... دعنا نكمل " قالت وقد بان عليها الانفعال ، سيطرت على التجاجها اعادت مسك زراعه وأخذت تمشي شعرت أن الجميع يسمع ما تقول لنفسها احست ان الجميع ينظر لها يتفحصها من رأسها حتى اخمص قدمها وانهم يعرفون كل ما يخالجها احست نفسها صفحة من كتاب تمشي بين الحشود وكل من بطريقها يقرأها بوضوح زاد ارتباكها طال الطريق عليها ،، بينما هو كان يراقب إيحاءاتها اضطرابها و وتيرة انفاسها المتصاعدة كان يرى فيها الغموض فقط لم يكن قادرا على فهم اي شيء . واخيراً بعد سبع دقائق في الطريق وصلوا إلى السيارة ركب بالخلف بينما هي بقيت واقفة خارجا حتى جاءت زهرة فركبتا معاً وانطلقوا بعد أن دلها على العنوان دارت بعض الأحاديث بين زهرة وشوكت لكن مهرة بقت صامته تراقب السماء عبر النافذة.

بعد إن وصلوا كان بيتا جميلا ذو حديثة بهية مع اطلاله إلى البحر كان رائعا الجمال والأثاث وطريقة الترتيب كانت قمه في الذوق الرفيع هذه المرة تملصت مهرة فساعدته زهرة على الدخول .

احضرت له الماء فتنبهت إن الثلاجة خالية من أي شيء يؤكل

"ليس لديك ما يؤكل .. سأذهب لشراء بعض الطعام وأعود " قالت بينما تهم بالمغادرة مشت مهرة معها فتوقفت زهرة وقالت

" انتِ ابقي هنا سأعود بالحال ثم نذهب للبيت "

" دعيني اتي معك لأساعدكِ .."

" كلا ليس هنالك من داعٍ"

قالت زهرة ثم همت بالمغادرة كان يستلقي على الاريكة مقابل التلفاز أما مهرة فكانت تقف بعيدا قرب الباب الخارجي الذي ابقته مفتوحا بالكامل . مرت بضع دقائق من الصمت المطبق من ثم أخذ يسعل ترددت قبل أن تذهب وتعطيه كأس الماء شرب منه القليل

" شكرا لكِ .." قال

" هل تحتاج إلى اي شيء آخر.."

" أشعر بالبرد .. أيمكن أن تحضري لي لحافا من القرفة المجاورة"

" حسنا .. "

ذهبت إلى الغرفة المجاورة لم تكن مرتبة على الإطلاق رغم أن الألوان والأثاث جميل ولكن الفوضى جعلت المنظر بشعاً تقدمت بصعوبة فتنبهت لصورة على الأرض، كانت صورة والدته كانت إمرأة جميله ورقيقة وبنفس الوقت بان عليها القوة والشموخ كانت ملامح وجهها مميزة جداً بعينيها السود ووجهها الأبيض وفمها كحبه عنب صغيرة . إعادتها إلى مكانها أخذت اللحاف وعادت له دثرته به

" هل تشعر بدفئة الآن.. " سألت

" أجل.. شكرا لك "

" العفو " قالت وهي تستدير لتذهب

" لا تذهبِ اجلسي قليلا لنتحادث.. "

وقفت لثواني ترددت ثم عادت وجلست أخذت نفسا عميقاً وبقت صامته .

" أبهذا القدر لا تثقين بي .. "

" ماذا .. لما تقول هذا الآن؟ !! "

" ماذا تظنينني ؟ .. هيا تجيبي "قال بغضب

" ما بك فجأةً .. "

" لما تركتي الباب مفتوحا وبقيتِ متسمره هناك .. ما تظنينني.. هل انا قذر لتلك الدرجة بنظرك .. لقد راقبتك وراقبت خوفك مني وارتباكك صوتك المرتجف عندما تحادثيني.. لماذا .. لماذا "

" ال .. الأمر ليس كما تعتقد ... "

" وهل يوجد تفسير آخر لكل هذا ؟ !! "

" أنا.. أنا فقط .. هنالك .. شيء "

" لماذا تتلعثمين.. لست أنا ذلك الحقير الذي في مخيلتك.. انا شخص تربي على الأخلاق العادات والتقاليد .. لقد فعلت كل ما باستطاعتي لأجلك وافعل المزيد .. وحتى أضحي بحياتي لأنني.."

" يكفي .. ارجوك يكفي لا تكمل " قالت بتوتر كبير مع اهتياج بارز

" لأنني.. أحبك. "

" لا تقل .. لا تقل لا أريد سماع شيء "انتفضت وانفعلت بشكل كبير

" أحبك واعشقك إلى الأبد.. "

"كفى.. كفى " قالت وهي تغلق اذانها بيديها وتهم بالخروج مسرعة جلست خارجا بالحديقة ولا تزال مغلقه اذنيها كانت هنالك فوضى عارمة في اعماقها بل كان هنالك طوفان جارف يقتلع كل ما يمر به . اندفعت الكثير من الأشياء دفعة واحدة شعرت بتشنج يشلها بالكامل كما واندفع صداع قوي شعرت بتعب مباغت شعرت بالبرد يتخللها ويلامس عظامها أحست برغبة ملحة بالنوم بالكاد استطاعت التحمل حتى مجيء زهرة

" مهرة ! ما بك "وقد لاحظت اضطرابها

" لا شيء هيا لنذهب من هنا" قالت بتثاقل

" حسنا .. فقط لأعطية المشتريات وأعود "

ذهبت إلى الداخل وضعت كل الاطعمة بالثلاجة وقد لاحظت عليه هو الآخر الاضطراب ذاته ،

" هذا مفتاح سيارتك .. الآن سنذهب ونأتي لزيارتك فيما بعد"

" كلا احتفظي به ربما يلزمكن.. بكل الأحوال لن استعملها الآن "

" إلى اللقاء.."

" إلى اللقاء " رد بفتور

بقت طول الطريق مهرة صامته كانت زهرة تكلمها تحاول معرفة ما بها ولكنها لم تجب وما إن وصلن حتى ذهبت ونامت شعرت زهرة بالقلق عليها كانت تشعر بالحيرة تجاه تدهور أوضاعها المفاجئ ،،

جلست على مقربة منها وراحت تراقبها بصمت مرت الساعات وهي نائمة فكرت أن توقظها لكنها لم ترد إن تزعجها تركتها حتى استفاقت وحدها عند ١٢:٠٠ منتصف الليل نهضت من فراشها وتوجهت نحو الحمام استحمت هدأت نفسيتها عند خروجها جلست على الاريكة في غرفة الجلوس ولا زالت صامته

" هل أنت جائعة .. أأحضر لكِ بعض الطعام " قالت زهرة

" كلا .. شكرا لكِ "

"مهرة ما بكِ .. الن تخبريني .. هل شوكت تصرف معك بشكل غير لائق .. اجيبيني "

" كلا لم يتصرف معي بسوء .. "

" إذا ماذا .."

" الموضوع هو .. أنني .. أنني ومنذ فترة كان يراودني شعور غريب لا استطيع شرحه لك ... ولكنه كان يداهمني فجأة يربكني يخيفني يشتتني .. "

" وماذا بعد اكملي !! "

"تراودني كل تلك الانفعالات حالما أقترب من شوكت ... و "

" شوكت !!! "

" و .. هو يضن أنني لا اثق به وانني اراه شخصا حقيرا .. ولكنه .. أخبرني أنه .. أنه يحبني ومستعد لفعل اي شيء لأجلي.."

" كنت أعرف أنه يحبك من نظرته لك .. ولكن لما يظن ذلك بكِ "

" يظن ذلك بسبب شعوري الذي يجعلني انفعل اتوتر ولا اعد أدري ماذا افعل .. ليست تلك المشكلة بل المشكلة تكمن بي .. فانا لا اثق بالرجال كافه بل و اخافهم .. "

" ليس بالضرورة أن يكون جميع الرجال متشابهون.. اعطي نفسك فرصه و اعطيه فرصه .."

" كلا .. كلا لست مستعدة لشيء كهذا الآن مطلقا "

" ولكنكِ تحبيه.."

" أنا لا أحبه "

" الحب هو ذلك الشعور الذي يداهمك على قفلة يغيرك يجعلك تضطرب يجعلك لا تعرف نفسك لا تعرف بماذا تشعر ولماذا .. "

بقت صامته محتارة فأكملت زهرة

" الحب الصادق لا يتكرر في الحياة .. لا أحد يجبرك على شيء خذي وقتك فكري جيدا وبعدها قرري بما تريه مناسب... ولا تنسي أنا معك بكل قراراتك "

" شكرا لك .. أشعر بارتياح بعد تحدثت معك "

" متى ما أردتِ التحدث انا موجودة لأسمعك .. "

تعانقتا عناقاً طويلا مما اشعرها بالأمان و السكينة .

قضت الأسبوع التالي شاردة الذهن تفكر بما قالته لها زهرة ، ولم تذهب لزيارة شوكت قط ، كن يذهبن للعمل منذ الصباح حتى الظهيرة لتعود بعدها وتجلس على الشرفة مع كوب من القهوة الساخنة كما و ابتعدت عن زهرة لتعطي نفسها المجال الكافي في التفكير في النهاية اي قرار ستتخذه سيكون مصيري إن وافقت ربما لا تستطيع التكيف وتندم وإن رفضت وانهت المسألة ربما تندم أيضا كان عليها التفكير مليا كي لا تشعر بالسوء.

"صباح الخير " قالت مهرة

"صباح النور " ردت زهرة

"رغم تفكيري طوال الأسبوع الماضي بالموضوع إلا أنني لم أستطع أن أقرر بعد .. "

" عزيزتي خذي نفساً عميقاً اغمضي عينيك واستمعي لقلبك فهو الادرى بكل شيء.."

استمعت لنصيحتها أخذت نفسا عميقا شهيق وزفير ثم اغمضت عينيها استمعت لما يمليه عليها قلبها كان يقول لها اذهبي له فهو الوئام وهو الأمان لكِ فتحت عينيها وقد عرفت الإجابة لابد من أن تذهب إليه اليوم وتحادثه عن مشكلتها عن خوفها بلا سبب صريح إن كان مرض ليجد لها الدواء وترتاح كانت تريد بشدة أن تكون سعيدة تعيش الفرح كباقي البشر لا تريد المزيد من الخوف، التوتر ،الضياع ، التشويش و الانفعالات الغير مبررة .

حزمت قرارها ستذهب ضهر اليوم بعد انتهاء العمل . كان العمل اليوم كثيفا متعبا كانت عقارب الساعة تمشي ببطيء على غير المعتاد . عندما انتهى وقت العمل واخيرا أسرعت بالعودة إلى البيت دخلت الحمام استحمت ثم اخرجت أجمل الملابس عندها

كان فستانا يصل إلى أسفل الركبة ذو لون اسود وابيض مع حزام أحمر عند الخصر مشطت شعرها الليلي كانت تبدو جميلة جدا رشت من العطر الجديد كانت رائحته كخليط من الازهار نظرت لنفسها بالمرآه لم ترى هذا الجموح بعينيها قط من قبل .

من ثم خرجت متوجهه نحو منزله عندما وصلت شعرت بتردد في الدخول وقفت قليلا بالحديقة لامست الازهار شمت عبيرها أخذت نفسا استجمعت قواها وتوجهت نحو الباب طرقت ثم طرقت مرة أخرى فسمعت صوت اقدام في الرواق حاولت السيطرة على نفسها

كي يبان عليها التوتر فتح الباب أخيراً . ظل شوكت بابتسامه رضى لم تنظر بعينية مباشرة ظل صامتا هو إلى أن تكلمت هي

" مرحبا .."

" أهلا بكِ .."

" تبدو بحال أفضل من ذي قبل.."

" أجل الحمد لله.. أنني اتعافى رويدا رويدا "

" الن تدخلني إلى الداخل .."

" عفوا .. تفضلي بالدخول "

ما إن دخلت حتى شعرت بخوف وانفعال كبير ولكنها حافظت على هدوئها الخارجي ترك الباب مفتوحا ومشى خلفها حتى وصلوا غرفة الجلوس و جلسوا متقابلين.

"أريد التحدث معك بخصوص شيئا ما "

" حسنا.. تفضلي "

"انا .. أعني .."

"آسف نسيت أن أسألك ماذا تشربين ؟ "

"لا شيء "

"لا يمكن سأعد القهوة وأعود في الحال "

و ذهب ليعد القهوة حاولت تهدئة نفسها في هذه الأثناء وترتيب الحديث الذي تريد قوله بقت جالسه تنتظره رغم انه تأخر في المطبخ . *عندما انتهى أخيرا من اعدادها وضع فنجان أمامها وآخر امامه مع طبق صغير من الشوكولاتة ارتشفت القهوة لم تعجبها إطلاقا ولكنها تظاهرت بالأعجاب .*

"إذاً .. تفضلي اكملي حديثك "

"أنا.. أردت التكلم معك عن .. عن ما قلته لي "

"ما الذي قلته لكِ !! "

"إنك.. إنك تحبني" قالتها وقد توترت كثيرا لم تستطع السيطرة على نفسها أكثر ،،

"أجل أحبك.. أحبك حتى آخر نفس في حياتي هل عندك شك "

"ليس هذا الموضوع إنما.. "

"إنما ماذا .. انا لا أطلب اي شيء منك فقط أحبك وليس من الضروري أن تبادليني الحب "

" انت .. انت لا تعرف ما هي مشكلتي .."

"ما هي مشكلتك أخبريني إذا.. ربما استطيع حلها .."

"المشكلة تكمن في داخلي .. لا علاقة لك بها . .."

"هيا قولي .. لا تصمتي"

" منذ صغري وأنا لم اختلط أو اكلم اي رجال غير والدي واخوتي الذين.. الذين زرعوا داخلي الخوف بل الذعر من باقي الرجال .. صرت امقتهم، اخافهم ، إلى حد .. وبعد الذي جرى معي... زاد الأمر سوءً ... لم أتخيل قط .. أن هناك من هو مختلف.. أن هناك من سيحبني.. . أنا، ، انا لا استطيع السيطرة على نفسي لا استطيع منع نفسي من الخوف ... رغم .. "

" أنا معك وسنتخطى ذلك معاً .. إن سمحتِ لي إن اعطيتني فرصة "

" أنا هنا لأعطيك واعطي نفسي فرصة .. بسبب ذلك الشعور الذي يتخللني كلما .. كلما اقتربت منك "

"وهل تشعرين بشعور تجاهي .. " قال وهو يبتسم خجلت ثم أكمل

"ضعي يدك بيدي دعينا نمشي في طريق الحياة معا .. واعدك لن تندمي على ذلك يوماً .. " قال وهو يمد يده لها

" احتاج وقتاً .. لست مستعدة لأي شيء الآن "

" خذي وقتك سأنتظرك حتى آخر أنفاسي يكفي أن تعطينني أمل"

صمتت لم ترد ولكنها ابتسمت له ابتسامة خجولة

"هل تعرفين متى رأيتك اول مره "

"في تلك الكافتيريا .. "

"كلا .. رأيتك اول مره حيث سحرتني وخطفتي قلبي من بين اضلعي قرب تلك البحيرة حيث كان الهواء يداعب خصلات شعرك وكانت مرسومة على وجهك ابتسامه خلابة كنت تنظرين الى العصافير المتطايرة في السماء ولم تنتبهي لي .. ولكن صورتك طبعت في فؤادي "

"هل .. هل انت من القرية ؟ "

"اجل عائلتي تسكن هناك .. "

"إذا ماذا تفعل هنا "

"لقد تبعتك عندما رحلتي خفت أن يحصل لك مكروه وحدك .. كنت دائما قريبا منك .. "

"وهل تعرف لما انا هنا ؟ "

" لأنك .. لأنك لم ترغبي بالزواج بي ولم ترغبي برؤيتي حتى .. "

" انت .. انت من .. من كان يريد خطبتي .. يالهي "

نهضت غاية في الصدمة والانفعال بالكاد تخرج الحروف من فاهها

" ل.. لما لم تخبرني من قبل ؟؟ "

"لم اظن انك لا تعرفينيِ! "

" لم تظن؟؟ .. يجب أن ارحل الآن "

"إلى أين ماذا جرى ؟؟ "

"لا شيء يجب أن أذهب فحسب "

قالت وهي تهم بالخروج مسرعة بعد أن تسارعت وتيرة انفاسها وشعرت بصداع قوي مع رغبه كبيرة للبكاء حاولت أن تسيطر على نفسها حاولت ان لا تبكي حتى تخرج ، ولكنه أمسك يدها حاولت الإفلات منه والذهاب فلم تستطع انهمرت دموعها كالسيل الجارف

"لا تبكي .. لم اعرف ان الامر يحزنك لهذه الدرجة ارجوكِ لا تبكي .. "

"ارجوك .. دعني.. دعني "

كيف اتركِ .. دعيني اوصلك على الأقل! "

" ارجوك أترك يدي .. يجب ان أبقى بمفردي أرجوك.."

ترك يدها راحت تعدو بكل سرعتها ركضت بالشارع حتى كادت انفاسها تقطع جلست على الرصيف أخذت تبكي وتبكي إلى انتهت دموعها واطبق الظلام على الأرض لم ترد إن تعود للبيت أرادت أن تضل بمفردها بمكان بعيد لا تسمع فيه اي صوت لا ترى غير اي كائن يتحرك كانت تحتقر نفسها بشدة .

كانت تشعر بالضعف والخيبة أرادت أن تختبئ من الجميع ومن نفسها ، ركبت سيارة أجرة اوصلتها إلى ذلك الكوخ البعيد قرب البحر جلست وحيدة هناك مع البحر والنجوم أخذت تشكي لهم كل ما يخالج قلبها الصغير تشكي لهم قلة حيلتها وضعفها وقراراتها الخاطئة التي دمرتها، أعادت كل الشريط منذ البداية راودتها الكثير من الأفكار و الأوهام التي اخافتها .

فكرت أنها لو لم تفعل ما فعلته لو لم تهرب لكانت الآن متزوجة من أكثر شخص أحبها في العالم وربما كانت ستكون سعيدة ، لكانت لم تعش كل الرعب والذعر الذي عايشته في الفترة الماضية .

" آه .. آه ماذا فعلت بنفسي .. كل ما حدث ببساطة لم يكن له اي داعٍ .. حرمت من امي .. من عائلتي ولو كانت سيئة .. حرمت من كل شيء وبقيت بمفردي فقط لأجل لحظة ثوران .. لحظة هيجان فقط .. فقط "

قالت لنفسها بصوت عالي مسموع من البحر .. السماء والانجم كانت جالسة قرب على الرمال الباردة تنظر إلى اللامكان شعرت بحزن كبير يعتصر قلبها و روحها ، كأن الحزن مقدراً لها مهما فعلت .

ظلت تبكي تناجي قدرها تناجي الحياة حتى فقدت وعيها بسبب البرد القارص ليلا قرب البحر ..

أستيقظت صباحاً وعيناها متنفخه وجدت نفسها في السرير والموقد مشتعل لم تتفاجئ عرفت أن هو من ادخلها إلى الداخل آلامها ذلك أكثر.. ظلت مسطحة تتأمل السقف حتى الظهيرة لم تكن تملك طاقة لتنهض قبلا ، فجأة صحت على نفسها وقررت أن تعود أجل تعود إلى الديار ومهما حصل ليحصل ستعود وتواجه ما هربت منه ولن تهرب مرة أخرى .

نهضت خرجت تأملت المكان ، البحر ، السماء ،الشمس وطيور النوارس ثم رحلت تمشي بخطى ثقيلة وبطيئة حتى وصلت الطريق العام بالكاد وجدت سيارة أجرة ركبت وعادت إلى البيت عندما وصلت زهرة تنتظرها قرب الباب

"لماذا لا تعلميني عندما تريدين الذهاب لمكان ما.. كدت اموت من القلق لو لم يخبرني شوكت بمكانك.."

"آسف .. آسفه حقاً " قالت بأسى

"ما بكِ .. لما كل هذا الخزن بعينيك.. بسبب شوكت؟؟ "

"كلا .. لا علاقة له.. "

"لا تخيفيني ماذا هناك! ؟ "

صمتت لبضع دقائق ثم قفزت من عينيها بعض الدموع وراحت تحكي لها قصتها الحقيقة منذ البداية بالتفصيل وهي تظن أن زهرة ستأخذ موقفا منها خاصتا بعد أن بان على زهرة الصدمة و المفاجأة ولكن زهرة زهرة احست بحزنها والمها

" لا تحزني على ماضٍ تولى عزيزتي .. أعرف ما تشعرين به ولكنها مشيئة القدر ليس بيدك حيلة "

"ولكن كل شيء كان باختياري.. اختياري الخاطئ .. "

" الإنسان ليس معصوماً عن الخطاء .. كل إنسان يخطئ بحياته هل ذلك يعني النهاية .. كلا ما دمتِ عرفتي خطأكِ هذا جيد حاولي ان تصلحيه "

"سأعود.. سأعود إلى الديار "

" ان كان ذلك يريحك فأذهبِ .. " قالت بعطف وهي تمسك بيدها

"شكرا لك.. لن انسى معروفك ما حييت "

"لا تقولي ذلك لا شكر بيننا .. "

"سأذهب في الغد ..."

"حسنا .. ولكن انا سأذهب معك لن اتركك بمفردك وانت بهذا الضياع "

" حسنا "

ثم ذهبت استحمت جلست تحت صنبور المياه بأسى ظلت جالسة ما يقارب النصف ساعة عل روحها تغسل من الهم الذي يعتريها ثم وقفت بعدها تنظر لنفسها عبر المرآه كان وجهها شاحبا كما ظهرت دائرتين داكنتين اسفل عينيها وشفاهها جافه مائلة للبياض ، كانت ترى كيف تغيرت في الثمانِ شهور الماضية وكيف كانت قبلها رغم إن عيشتها لم تكن هنيه إلا أنها لم تكن بهذا الأسى لم تكن بهذا التشتت .

خرجت بعدها لملمت اشيائها المهمة في حقيبتها الصغيرة القديمة ثم جلست على الشرفة للمرة الأخيرة مع فنجان قهوة أخير رغم أن رائحته كانت تتخللها إلا تستطع أن تشربه فقط بقت جالسة تراقب قروب الشمس الشيء الوحيد الذي لم يتغير في حياتها كان نفس الغروب منذ طفولتها حتى الآن رغم تغير الكثير .

في الصباح كل حملت حقيبتها وتوجهتا إلى المطار دون أن يعلمن شوكت بذلك ، وصلتا عند الساعة ٩:٠٠ وكان موعد اقلاع الطائرة عند الساعة ١٠:٣٠ جلسن في صاله الإنتظار ، كانت الدقائق تمشي بتثاقل كبير .

بعد فترة انتظار تعد طويلة حان وقت الاقلاع توترت مهرة عند سماع النداء إلى الطائرة، ركبتا وانطلقت الطائرة مع الرياح بعد ساعتين ونصف من الزمن وصلتا و هبطتا على أرض الوطن شعرت مهرة برهبة كبيرة بل وخافت فكرت بماذا سيفعل أباها إن راها بعد كل هذه الشهور فكرت بماذا قد يكون حصل لهم في هذه الفترة تمنت من أعماقها أن يكونوا بخير ولو لم يتقبلوها ثانية ولو فعلوا بها اي شيء تمنت فقط أن تراهم بخير .

عندما كانت تمشي بالمطار متوجهه إلى باب الخروج تذكرت مجيئها اول مره هنا جلوسها في تلك الكافتيريا وكأنه حصل بالأمس فرغم رحلتها الطويلة في البحث عن ميناء الحرية والسلام إلا أنها لم تجده ابداً .

عند الساعة ٢:٠٠ ضهراً ركبن الحافلة وانطلقن نحو المدينة الأخرى حيث يقنط أهلها كلما كن يقتربن كلما زاد خوفها ،توترها و تشنجها ظلت صامته طوال الطريق ولكن آلاف الكلمات كانت تسبح في رأسها آلاف الأوهام و آلاف الآهات.

عندما وصلن كان المساء قد حل اقترحت زهرة أن يذهبن إلى فندق قريب وفي الصباح يذهبن إلى مزرعة أهلها فوافقت مهرة لتتهيئ حتى الصباح.

مع بزوغ الفجر كانت مهرة قد ارتدت ملابسها وجلست في حديقة النزل فقد لم تنم طوال الليل عكس زهرة التي نامت بضع ساعات انتظرتا حتى انتصبت الشمس في السماء ثم ذهبتا ، لم تستطيعا العثور على اي سيارة أجرة فسارتا مشياً على الأقدام استغرق بعض الوقت حتى اقتربتا شعرت مهرة بقلبها يخفق بشدة ازدادت توترا ..

عندما وصلن إلى بوابة المزرعة كانت مقفلة من الخارج نظرن جيدا كان المكان خاليا باهتا لم يعد المكان المفعم بالحياة الذي عهدته

"ء يعقل أن يكونوا سافروا أو انتقلوا ربما .. " قالت زهرة

"كلا هذا مستحيل .. ربما حدث شيء سيء .. يالهي "

" لا تخافي فورا انتظري.. ربما هنالك شيء آخر دعينا نسأل أحد الجيران .."

همت تمشي بسرعة تبعتها زهرة وهي تكلمها لكن مهرة لن تكن ترد مشت حتى باب المزرعة المقابلة طرقت الباب لم يفتح أحد عاودت الطرق حتى صرخ أحدهم "أجل.. أجل سأفتح " وبعد أن فتح الباب ظهرت رشا التي كانت مصدومة برؤية مهرة تقف امامها ظنت أنها تحلم ثم ظنت أنها رأت شبحاً بالكاد هدأت

"هذه انت مهرة .. حقا انت على قيد الحياة " قالت بشيء من الفرح ثم عانقتها وهي تبكي وبكت مهرة أيضاً بعدها هدأتا قليلا وسلمت زهرة على رشا ثم سألت مهرة باهتياج

"ارجوك اخبريني .. اين عائلتي ماذا حدث لهم .."

احنت رشا رأسها بأسى ترددت كثيرا

"ادخلي دعينا نجلس .. وسأشرح لكِ كل شيء "

"اخبريني الآن ..."

"اهدأي قليلا مهرة دعينا نجلس ونتكلم بهدوء " قالت زهرة

استمعن لها ودخلن جميعا جلسن بالحديقة تحت أشجار الكروم تلكأت رشا كثيرا قبل تتكلم لم تكن تعرف من أين تبدأ

"سأحكي لكِ .. ولكن أرجوك حافظي على هدوئكِ " قالت رشا صمتت بضع دقائق ثم اكملت

"كنا نعتقد بأن زياد قتلك .. بعد عودة العم جلال وزوجته من السوق ذلك اليوم وبعد إيجادهم لدماء ولحالة زياد وحتى بعد إن سألوه كان يجب بأنه لا يعرف أو لا يذكر فابلغوا الشرطة عنه ".

"ماذا .. ابلغوا عنه الم يداروا على ابنهم!! "

"أجل وفي نفس اليوم .. أصيبت الخالة سمر بجلطة قلبية نقلت إلى المستشفى ولكن .. "

" ولكن ماذا لا ترعبيني تكلمي لكن ماذا " قالت بذعر

"البقية بحياتك.. " قالت بأسف شديد

"كلا .. كلا " صرخت بألم بعد أن نهضت منتفضة امسكتها زهرة عانقتها حاولت مواساتها حاولت التكلم معها عبثا فقد انهارت لم تعد تسمع شيئاً حاولت رشا مواساتها أيضا

"أنا السبب .. انا السبب في موتها "

"لا تقولي ذلك الأمر ليس بيدك .. اذكري ربك " قالت زهرة لم ترد عليها وبعد نوبه بكاء هستيرية قالت

"أين دُفنت؟ "

" في المقبرة التي قرب الجامع.. "

انتفضت ابعدت زهرة عنها وراحت تعدو بسرعة البرق والدمع يملئ عينيها بالكاد ترى طريقها بعد وصولها أخذت تفتش القبور قبراً قبراً بحثا عن اسم أمها واخيراً وجدته بعد ما يقارب نصف ساعة من البحث ، كانت خجلة من نفسها بل وتشعر بالعار جلست قرب القبر واحنت رأسها علية وهي تبكي بحرقة وآلم كانت تشعر بشيء يعتصرها من الداخل حتى تتقطع احشائها لم يكن هناك شعور يوصف ما شعرت به وهي بتلك الوضعية ،

" ليتني كنت انا بدالك .. ليتني كنت انا من مات. " قالت بصوت هزيل متألم ، تمنت لو يعود الزمن إلى الوراء لما فعلت أي شيء لعملت كل ما تستطيع لإسعاد ابويها ،

كانت زهرة تقف بعيداً وتراقبها ارادتها أن تضل بمفردها لتبكي وتفرغ بما في داخلها . بكت وبكت حتى جف دمعها لم تستطع زهرة التحمل أكثر ذهبت وانتشلتها من الأرض كانت شبه فاقدة الوعي

" اتركيني .. اتركيني " صرخت على زهرة ولكنها لم تستمع لها اخذتها معها بالقوة عادت بها غرفة النزل اشربتها حبة منومة وضعتها على السرير غطتها وذهبت إلى رشا لتفهم منها باقي الحكاية ، شرحت لها رشا كل ما حصل بعد ذلك بالتفصيل كانت الحكاية تعيسة ومؤلمة اسفت زهرة كثيرا لسماعها هذه الأشياء شكرتها ثم عادت إلى النزل فكرت كيف تنقل هذه الأخبار لها وهي بهذه الحالة.

كان للحبة مفعول قوي لذلك نامت حتى المساء حين صحت كان رأسها يكاد ينفجر من شدة الألم تذكرت ما جرى كم تمنت ودعت أن يكون حلما سيئاً لكنه لم يكن كذلك عادت لها نوبة البكاء تكورت كوضعية الجنين وراحت تغرق في سيل من الذكريات القديمة حاولت زهرة تهدئتها دون جدوى .

عند الساعة ١١:٢٥ ليلا هدأت من روعها قليلاً ثم همت بالخروج اوقفتها زهرة تسالها

" إين ستذهبين وسط الليل "

"أنا ذاهبة إلى رشا يجبأن أعرف أين البقية .."

" توقفي انا سأخبرك فقد أخبرتني رشا بينما كنت نائمة "

"هيا تكلمي إذا .. "

"تعالي لنجلس اولاً .. ارجوكِ " طاوعتها وجلست ثم اكملت زهرة

" بعد وفاة والدتك .. تمرض العم جلال حزنا عليها وعلى .. ابنه الذي في السجن وعلى .. ابنته "

"لا تقولي بأنه مات أيضا .." قالت بخوف

" كلا لم يمت ولكنه مريض يقبع في المشفى لأخذ العلاج اللازم.."

"حمداً لله "

" ولكن.. زياد .. "

"ما به زياد .. سأذهب وأخرجه من السجن واعتذر له "

" لن تستطيعي لأنه.. لأنه مات أثر جرعة زائدة من الكحول بعد فترة وجيزة على هروبه من السجن .. "

" أنا السبب .. انظري لما حل بهم بسببي ليتني مت حقاً .. "

قالت وقد بدأت تصب ينابيع الدمع ثانية وضعت زهرة يدها على كتف مهرة محاوله مواساتها

" لا تفعلي بنفسك هكذا .. أنه القدر "

" ليس القدر .. أنا السبب " قالت بتلكؤ بالكاد يفهم كلامها ثم طلبت من زهرة إن تدعها بمفردها بعض الوقت .

استمعت زهرة لها وتركتها بمفردها رغم قلقها الشديد عليها .
حبست مهرة في غرفتها التي اسدلت ستائرها واطفأت انارتها لتصبح مظلمة ورطبة ، وكأنها قررت تعاقب نفسها بالسجن الانفرادي فقد كانت الغرفة اشبه بزنزانة سوداء .

كانت نفسها المذنبة الوحيدة وكأنها هي من قتلتهم جميعاً بيديها تكاثرت عليها الأوهام وصارت تهلوس بهم وهي مستيقظة وتحلم بهم في نومها ، تراهم بكل وقت يشيرون بأيديهم نحوها ويصرخون عليها انت السبب .. انت السبب الوحيد

صارت تخاف من كل شيء من الجميع وحتى من ظلها ساءت حالتها كثيرا في ذلك اليومان أصبحت تصرخ مباغتة خائفة تهرع إلى الطريق مذعورة مباغتة كانت حالتها يرثى لها حقاً

كانت زهرة تراقب كل وتتألم لم يكن هنالك شيء تستطيع فعلة لأجلها كانت تحاول الحديث معها ولكن مهرة لم تكن تسمع وكأنها فقدت جميع حواسها .

لم يبقى لها خيار سوى أن تذهب إلى طبيب نفسي وتشرح له حاله مهرة عله يستطيع مساعدتها ، أخذت موعد وذهبت عصراً التقته شرحت له الوضع بالتفصيل وكيف تدهورت مهرة بعد ذلك

اخبرها أن هذا يدعى اضطراب ما بعد الصدمة اعطاها مهدئات ومنومات ستحسن من حالتها قليلاً من ثم تحضرها للعيادة ، عادت زهرة وقد حزنت كثيراً لرؤيتها هكذا احتارت كيف تشربها الدواء فمهرة منذ يومين لم تأكل أو تشرب وحتى لا تنام بان على هيأتها المرض الشديد كانت فتاة مسكينة .

بطريقه ما استطاعت زهرة أن تعطيها الدواء امضت ثلاث ايام أخر وهي نائمة أو شبه مخدرة بالكاد زهرة تستطيع اطعامها القليل كانت وكأنها بغيبوبة...

بعد نومها لم تعطها زهرة المنوم هذا اليوم اعطتها المهدئات فقط عندما صحت كانت تشعر نفسها ثقيلة جدا وكأنها صحت بعد سنين كان وجهها شاحبا مائلاً إلى الصفار بينما ارتسمت هالتان سوداويتين حول عينيها شفاهها جافه متفطرة كأرض قاحلة ،وشعرها اشعث متطاير مع الريح وجسدها هزيل فقد بضع كيلات كانت تريد البكاء لكنها لم تكن تقدر كانت عيناها تؤلمانها بشدة.

لم تكن تقدر على النهوض كانت تشعر بدوار شديد وتسقط حالما تحاول الوقوف، كانت رائحتها نتنة فلم تغير ملابسها منذ أيام ساعدتها زهرة على الاستحمام وارتداء ملابس نظيفة ثم اخرجتها إلى الحديقة رغماً عنها لأنها أرادت أن تعود إلى فراشة كانت تبدو باهتة هزيلة متجردة من البهجة وكأنها عجوز في التسعينات من عمرها يأست من كل شيء. اجلستها زهرة وجلست قربها وراحتا تتأملان الغروب معاً كان أكثر غروباً مؤلما حزيناً يمر عليها .

لم تكن تريد اي شيء من الحياة بعد كانت متجردة من أحلامها، طموحاتها ، بهجتها والأهم من نفسها .

في الليل تكلمت مهرة بعد طول صمت

" أريد رؤية أبي !! " قالت بصوت خافت ،مبحوح و متقطع"

" أجل.. اجل غداً سوف آخذك إلية " قالت ذلك بتفاؤل إن مهرة ستشفى وستعود كما كانت وردة مبتسمة .

في الصباح ارتدت مهرة ملابسها بصعوبة وحدها و نزلت تمشي محاذات الجدار اشترطت عليها زهرة أن تتناول الفطور و إلا لن تأخذها لم تكن نفسها تشتهي ولكنها أجبرت نفسها على اكل القليل كي تأخذها زهرة إلى والدها .

عندما خرجتا إلى الطريق لم يجدن سيارة أجرة ولكن أحد النزلاء كان لدية سيارة اوصلهما حتى تقاطع الطرق يبقى من هناك ربع ساعة مشيا على الاقدام حتى يصلن إلى المستشفى.

سارتا جنبا الى جنب في الشارع المنظر من الجوانب كانت مهرة تمشي بصعوبة ولكنها مشت حتى وصلتا المشفى وقفتا خارجا للحظات ثم دخلتا، سألت زهرة الاستعلامات عن المريض فدلتها على غرفته رحتا تمشيان صعدتا في المصعد ثم اكملتا حتى وصلتا باب غرفته تراجعت مهرة بان عليها الانفعال والخوف تراجعت حتى ارتطمت بالجدار لم تكن تجرأ على مواجهته لم تجرأ على النظر في عينيه وفجأة فتح الباب خرجت أحدى الممرضات ورأته التقت عينيها بعينيه رُعبت تجمدت بمكانها ، لم يكن أباها كما كان ذلك الشخص القوي العنيد المتسلط بات الآن مجرد رجل عجوز ضعيف ومريض المت لحاله وشعرت بالعار والخزي من نفسها لأنها تعتبر نفسها السبب الوحيد .

دمت تلك النظرات لثواني معدودة قبل أن ينغلق الباب مرة أخرى شعرت باختناق لم تكن تستطيع أخذ نفس وضعت يدها على بطنها التي اندفع بها الم شديد مفاجأ وراحت تركض تتخبط بالجدران والناس حتى خرجت من هناك ألقت بجسدها المتعب على الطريق كانت بحاله جنونية كما كان سائر جسدها يرتجف بقوة لحقت بها زهرة حاولت انتشالها من على الأرض غير إنها دفعتها وبقت مرتمية بضع دقائق قبل أن تهرع راكضة مندفعة مع خصلات الرياح وزهرة تجري خلفها تكلمها تطلب منها التوقف بلا اي فائدة.

حتى وصلت المقبرة ارتمت على قبر والدتها كما يرتمي الجريح نحو الغَبراء . وراحت تنتحب وتنوح تناجي أمها إن تأخذها معها رغم كل محاولات زهرة إيقافها لم تقدر ، وفجأة ضهر شخص يمشي باتجاههن عندما اقترب كان هو شوكت ركضت زهرة نحوه وناجته أن يوقفها إلا ستقتل نفسها بهذه الطريقة.

نادها باسمها رفعت رأسها نظرت إليه كانت عيناه بذات البريق وذات العطف تقدم نحوها فنهضت وارتمت بين ذراعيه اغمضت عينيها وهي تجهش بالبكاء على صدره الحنون .

حتى انتبه بعد فترة وجيزة إنها لم تعد تتحرك ابعدها قليلا ونظر لها كان مغمى عليها حملها بين ذراعيه قرب قلبة النابض بها

اوصلها حتى غرفتها وضعها على السرير وخرج كان خائفاً عليها بل ومرعوب من أن تفعل شيء بنفسها تناقشا كثيراً هو مع زهرة حاولا إيجاد حلول لها و إيجاد طرق لمساعدتها كان الحل الوحيد لوضعها المتأزم ان يأخذانها الى الطبيب النفسي الذي سيساعده بالتأكيد.

بعد أن انهوا حديثهم نهضت زهرة لتطمأن على مهرة ولكن ما إن فتحت الباب حتى صرخت بذعر هرع شوكت نحوها وهو يصرخ

" ماذا هناك؟؟ " وقد بدت عليه ملامح الرعب

" ردت مهرة ليست هنا قد ذهبت ! " قالت زهرة بقلق

ركض شوكت يفتش عنها بحث في كل النزل والحديقة ولن يجدها ثم سال من كانوا يجلسون خارجاً عنها رد أحدهم أنه شاهدها تذهب نحو الغابة .

" نحو الغابة !! " صرخ ثم راح يجري بكل سرعته دخل الغابة وهو يصرخ باسمها كالمجنون ويفتش عنها بين الشجر لمحها تركض أمامه تبعها ثم توقفت انتبه إنها تقف عند الهاوية .

"مهرة .. مهرة ارجوكِ لا تفعلي .." صرخ بذعر

التفتت له تأملته تأملت مقلتيه للمرة الأخيرة وبقت صامته

"مهرة حبيبتي لا تفعلي هذا بي .. ارجوكِ أعرف أنه صعب جداً ولكن ليس مستحيل أن تتخطي ازمتك.. تعالي دعينا نتكلم .." قال

بقت صامته ثم نطقت بصوت رقيق متقطع وحزين

" كان من الصعب أن نكون معاً ..لكن ليس من الصعب أن لا نكون معاً... "

مد يده نحوها وعيناها تقطران حبا لها طلب منها أن تمسك يده وتعطيه فرصة وحيدة ولكنها لم توافق ابت أن تتأقلم مع الحياة ثانية

" ارجوكِ .. امسكي بيدي ولا تقتليني .. ارجوكِ " قال ثم أردف

" لا يزال القلب نغماً ..
تعزفه كلماتك حزناً
وترددده العصافير لحنا عذباً
لا يزال العمر ذكرى ،،
عشناها معاً
تحت قطرات الندى

.....

لايزال هناك شعلة الحنين
لم تخمدها كلمات البشر يئساً
بل حافظت عليها همسات العيون
ونبضات خافقٍ عشقاً

.....

لا تترددِ في العذول ابداً
ولا تتهاونِ على روح تنتظر حباً

فليس هنالك بعد غرامكِ غراماً
ولا من بعد ليل عينيكِ ليلاً
.....
من دونكِ انا كالشمس دون نوراً
وهل هنالك شمس تذكر دون ضياءً
من دونك انا كالبحرِ دون ماءً
أنا كفراشة دون ألوان
عودي لي يا احلى سنون
فلا طاقة لي على الهجران "

قال وهو ينظر لها برجاء كمتسول يسألها أن تعود نظرت له بألم بعد أن احست بكل كلمة بكل حرف احست بألم يعتصرها ظنت أنها ستسبب الأسى إلى كل من حولها احنت رأسها اسفلاً ظل ماداً يده نحوها منتظراً أن تمسكها وليعلن العيد ....

أحداث الرواية وشخصياتها من الخيال و لا علاقة لها بالواقع...